بسم الله الرحمن الرحيم

السياسة الخارجية للسلطنة المملوكية في عهد الأشرف برسباي

(٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)

دراسة قُدِّمت لنيل درجة الماجستير
في التاريخ

١٩٩٩م

السياسة الخارجية للسلطنة المملوكية

في عهد الأشرف برسباي

(٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)

إعداد الطالبة

ثـــروة ثلجـــي الطراونـــة

بكالوريوس تاريخ ١٩٩٤/١٩٩٥

إشراف الأستاذ الدكتور

أحمد عبد الله الحســـو

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير من جامعة مؤتة تخصص تاريخ

أعضاء لجنة المناقشة

١- الأستاذ الدكتور أحمد عبد الله الحسو (المشرف) ... رئيساً

٢- الأستاذ الدكتور تقي الدين الدوري ... عضواً

٣- الدكتور تيسير خليل الزواهـــرة ... عضواً

قدمت بتاريخ :

نوقشت بتاريخ :

الإهـــداء

إلى مَنْ جاء للناس هادياً ومعلماً ورسولاً

إلى والديّ عرفاناً وتقديراً لفضلهما

إلى إخواني وأخواتي

إليكم جميعـــاً

شـــكر وتقديـــر

الشكر لله تعالى أولاً وآخراً .

ويسرني أن أقدم جزيل شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور أحمد عبد الله الحسو الذي تفضل بالإشراف على هذه الأطروحة، وقدّم لي الإرشاد والتوجيه الصائبين، ولم يبخل عليّ بعلمه ومكتبته ووقته.

وأتقدم بالشكر كذلك إلى كل من مدّ لي يد العون لإخراج هذه الأطروحة بصورتها هذه .

ثروة ثلجي حمد الطراونة

قائمـــة المختصرات

ج	جـزء
د.ت	دون تاريخ نشر
د.ط	دون طبعة
د.م	دون مكان نشر
ص	صفحة
ع	عدد
ق	قسم
م	مجلد، وبعد السنوات : ميلادي
هـ	هجري
؟	خطأ لغوي في النص

الخطـــة

الموضوع	الصفحات
المقدمـــة	١-٦
الفصل الأول :	٧-٢٥
المبحث الأول : حياة الأشرف برسباي وعصره	٧-١٣
المبحث الثاني : الأوضاع التي عاصرها الأشرف برسباي	١٤-٢٥
الفصل الثاني :	٢٦-٤١
المبحث الأول : سياسة الأشرف برسباي تجاه التيموريين	٢٧-٣٤
المبحث الثاني : سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة أق قوينلو	٣٥-٤١
الفصل الثالث :	٤٢-٧٨
المبحث الأول : سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة قرا قوينلو	٤٣-٤٧
المبحث الثاني : سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة بني قرمان	٤٨-٥٦
المبحث الثالث : سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة ذلغادر	٥٧-٦٦
المبحث الرابع : سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة بني رمضان	٦٧-٧١
المبحث الخامس : سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة بني عثمان	٧٢-٧٨
الفصل الرابع :	٧٨-٩٦
المبحث الأول : سياسة الأشرف برسباي تجاه الفرنج	٧٩-٩٣
المبحث الثاني : سياسة الأشرف برسباي تجاه الحبشة	٩٤-٩٦
الخاتمـــة	٩٧-٩٨
قائمة المصادر والمراجع	٩٩-١٠٤
الملاحـــق	١٠٥-١٢٤
ملخص باللغة الإنجليزية	١٢٥

مقدمـــة

مفهوم السياسة الخارجية مفهوم حديث اكتسب أهمية دولية في التاريخ المعاصر وحظي باهتمام علماء السياسة وفقهائها كأحد فروع العلوم السياسية في الوقت الحاضر. ومع ذلك يمكننا القول باطمئنان أنه قديم قدم نشوء الدول، إذ ما من دولة إلا ولها أهدافها ومصالحها وأعداؤها وأصدقاؤها، وعليها أن تنظم علاقاتها وفقاً لهذه الاعتبارات.

وفي التاريخ الإسلامي نجد موضوع العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية يبرز منذ الجهر بالدعوة الإسلامية وإرسال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الرسل والمبعوثين للملوك ورؤساء القبائل، لينتظم وينمو ويتطور في الدول الإسلامية المتعاقبة وصولاً إلى دولة المماليك وعهد السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢١-١٤٣٨م)، موضوع هذه الرسالة وبعده.

ولقد ارتبطت الدولة المملوكية بعلاقات متشابكة على عهد هذا السلطان مع القوى الخارجية المؤثرة آنذاك، وتراوحت ما بين الغزو العسكري والفتح، والملاينة والمسالمة، وعقد الاتفاقيات وما إلى ذلك مما يطرأ على علاقات الدول. ويشير هذا بوضوح إلى أن الدولة المملوكية كانت في بؤرة السياسة العالمية آنذاك، لجملة من الأسباب، يأتي في مقدمتها موقعها الجغرافي بين أوروبا والشرق الأقصى، والإرث التاريخي الذي جعل السلطان المملوكي يتقدم كافة الحكام المسلمين، لأنه يحكم بتفويض من الخليفة العباسي القائم إلى جواره في القاهرة، ولأنه حامي الحرمين الشريفين، وهو اللقب الذي تمسك به السلاطين المماليك ونازعهم عليه غير واحد من الحكام المسلمين.

وكان يجاور السلطنة المملوكية في هذه الفترة من جهة الشمال الإمارات التركمانية الخاضعة اسماً للسلطان المملوكي، المتقلبة الولاء بين المماليك والعثمانيين. أما الإمارة العثمانية في الأناضول فكانت تنمو بشكل سريع أرعب الحكام المسلمين المجاورين قبل النصارى وإن كانت في هذه الفترة على وفاق مع

المماليك.

وإلى الشرق كان هناك التيموريون وخاقانهم شاه رخ بن تيمورلنك الذي كان يرى نفسه السلطان الأول في العالم الإسلامي، وينظر إلى السلطان المملوكي الأشرف برسباي على أنه تابع يرسل له خلع النيابة عنه، لا بل حاول أن يجرده من رمز سيادته، حينما أرسل له يطلب تقديم كسوة الكعبة المشرفة، الأمر الذي لم يساوم عليه برسباي بتاتاً.

وإلى الغرب كانت أوروبا وخاصة المدن الإيطالية تعيش أجواء عصر النهضة، وتتأهب للوثوب على الشرق للوصول إلى مصادر تجارات الشرق الأقصى، لا سيما وأن سياسة الاحتكار التي اتبعها برسباي أسهمت بشكل مباشر في صياغة الموقف الأوروبي تجاه السلطنة المملوكية، فيما كانت موانئ الشام ومصر عرضة لغزوات قراصنة الفرنج فاندفع برسباي لمهاجمة قبرص وأخضعها للسيادة المملوكية لتأمين موانئ بلاده وللحفاظ على مكتسباته ومصالحه.

وقد حاولت هذه الدراسة تلمس العناصر الأساسية للسياسة الخارجية للسلطنة المملوكية في عهد الأشرف برسباي من خلال بحث علاقات هذه الدولة مع القوى المختلفة المعاصرة لها، لمعرفة متى تميل إلى استخدام القوة؟ وما مدى اعتمادها على القوة العسكرية لتحقيق أهدافها؟ ومتى تميل إلى المسالمة وعقد الاتفاقات وأهميتها في تحقيق مصالحها؟ وهو ما حاولت هذه الدراسة أن تعالجه خلال فصول، تناول الفصل الأول منها حياة الأشرف برسباي وعصره، ثم الأوضاع التي عاصرها وتأثر بها مع التركيز على تلك التحديات الخارجية التي واجهتها السلطنة المملوكية قبل عصر الأشرف برسباي باعتبار أنها تشكل المدخل التاريخي للسياسة الخارجية للسلطنة في عهده والتي عالجتها الدراسة في الفصل الثاني الذي تناول سياسته تجاه التيموريين، وتجاه إمارة آق قوينلو التي كانت حليفة لهم، أما الفصل الثالث والذي شمل خمسة مباحث فقد تناول

سياسة الأشرف برسباي تجاه الإمارات التركمانية في آسيا الصغرى وهي كل من : إمارة قراقوينلو، إمارة بني قرمان، إمارة ذلغادر، إمارة بني رمضان، إمارة بني عثمان، في حين خصص الفصل الرابع لدراسة سياسته تجاه الفرنج والحبشة.

وقد جاءت الخاتمة لتسجل النتائج النهائية لهذه الدراسة التي أرفقت كذلك بملاحق تضمنت مجموعة من الجداول، إضافة إلى ملخص باللغتين العربية والإنجليزية.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر الأساسية وأهمها:

١. معجم البلدان. لشهاب الدين أحمد بن عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) وقد وفّر هذا المصدر مادة جغرافية تفيد في بيان المواقع التي وردت أثناء فصول الأطروحة.

٢. صبح الأعشى في صناعة الإنشا. لأحمد بن علي القلقشندي، (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ويُعَدُّ هذا المصدر من أهم المؤلفات الموسوعية والإدارية التي كتبت في تلك الفترة، وقد أفاد هذا المصدر في توضيح المصطلحات الإدارية والعسكرية التي جاءت أثناء الفصول. أما القلقشندي فقد عاصر برسباي قبل توليه السلطنة وذلك أن وفاته كانت في سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م بينما كان تولي برسباي للسلطنة في سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م.

٣. تاريخ بيروت. لصالح بن يحيى، (ت ٨٤٠هـ/١٤٣٧م) وفّر هذا المصدر مادة أساسية وغزيرة في الحديث عن العلاقة المملوكية-الفرنجية، سيما في عهد الأشرف برسباي وتأتي معلوماته على درجة كبيرة من الأهمية، وذلك أن ابن يحيى كان معاصراً للأحداث وشاهداً عليها، فقد شارك في الحملة التي توجهت لفتح قبرص سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٥م.

٤. السلوك لمعرفة دول الملوك. لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، (ت ٨٤٥هـ/

١٤٤١م) يأتي هذا المصدر في مقدمة المصادر التي اعتمدت عليها الأطروحة في معظم فصولها، فقد قدّم مادة غزيرة متواصلة، عن برسباي، وكيفية مجيئه من بلاده إلى بلاد الشام، ثم ترقيه في الوظائف واعتلائه لعرش السلطنة، ثم كيفية مواجهة المماليك للتحديات الخارجية قبل وأثناء عهد برسباي. والمقريزي، مؤرخٌ معاصر للأحداث الخاصة بفترة الدراسة وشاهدٌ عليها. ويدوّن أخباره بدقة وتفحص ومثال ذلك قوله عن أحداث ٨٢٩هـ/١٤٢٥م: (أخبرني من لا أتّهم من الغزاة أنه عدّ في الموضع الذي كان فيه ألفاً وخمسمائة قتيل).

٥. إنباء الغُمر بأبناء العُمر في التاريخ. لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،(ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) لا يقل هذا المصدر في أهميته عن المصادر السابقة، فقد وفّر مادة غنية ومتواصلة عن برسباي وتدرجه في الوظائف، وعن سياسته تجاه التحديات الخارجية، كما أنه كان قريباً من السلطان الأشرف برسباي حيث شغل وظيفة قاضي قضاة الشافعية بالإضافة إلى مشاركته السلطان في التوجه لقتال التركمان سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م. من هنا تأتي أهمية معلوماته ودقتها.

٦. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. لبدر الدين محمود العيني(ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) أفاد هذا المصدر أيضاً في الحديث عن برسباي وتدرجه في الوظائف، وكيفية مواجهة السلاطين الجراكسة للتحديات الخارجية والسياسة التي اتبعها الأشرف برسباي لمواجهة الأخطار التي كانت تهدد دولته، كما أن العيني كان معاصراً للأحداث وشاهداً عليها حيث كان مرافقاً للسلطان مع غيره من رجال ذلك العصر في حملة آمد سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م. وبالإضافة لذلك فقد كان مطلعاً على أمور الدولة لقربه من السلطان بحكم وظيفته مؤرخاً ومترجماً له. فمن هنا تأتي أهمية معلوماته.

٧. مخطوطة بعنوان برسباي لخليل بن شاهين الظاهري ت (٨٧٣هـ/١٤٦٨م).

تضمنت هذه المخطوطة رداً للأشرف برسباي على إحدى رسائل شاه رخ. وتأتي أهمية هذه الرسالة أنها لم تتوفر في المصادر الأخرى.

أما ابن شاهين فقد كان معاصراً للأحداث بحكم وظيفته، حيث كان نائباً للإسكندرية زمن الأشرف برسباي.

٨. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي. لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي. ت (٨٧٤هـ/١٤٦٩م). يُعَدُّ هذا المصدر من أهم كتب التراجم، حيث أفاد في ترجمة عدد من الشخصيات الهامة التي ورد ذكرها أثناء الأطروحة، كما أنه انفرد بمعلومات أكثر تفصيلاً من المصادر الأخرى في ما يخص نسب برسباي. إن ما قدّمه ابن تغري بردي يُعدُّ بالغ الأهمية لمعاصرته للأحداث وملازمته للسلطان ثم معرفته بالتركية وأنه كان مملوكياً مما جعل معلوماته عنهم ذات فائدة كبيرة.

٩. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. لابن تغري بردي أيضاً. وهو من أهم كتب التاريخ والسير والحوليات، وقد أفاد هذا المصدر في توفير مادة متكاملة في الحديث عن برسباي ومحنته، حيث كان عارفاً باللغة التركية، ملازماً للسلطان، حيث يظهر هذا من خلال حديثه عن كيفية مواجهة السلطان لشاه رخ.

١٠. نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان. لعلي بن داود الصيرفي، ت (٩٠٠هـ/١٤٩٤م). وهذ المؤلف من أهم كتب التاريخ التي أُلّفت في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، والذي وفّر مادة لفصول الدراسة معتمداً في نقلها عن شيوخه كالمقريزي وابن حجر وفي بعضها الآخر على مشاهداته المباشرة، كان يقول عند رد السلطان على شاه رخ في رسالته الخامسة (وكنت إذ ذاك حاضراً بالاسطبل...) فمن هنا تأتي أهمية معلوماته كونه معاصراً للأحداث وشاهداً عليها.

١١. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. لشمس الدين عبد الرحمن السخاوي(ت

٩٠٢هـ/١٤٩٦م) يُعدُّ هذا المصدر من أهم كتب التراجم التي ترجمت لأبرز شخصيات الفترة (التي تبحث فيها الرسالة) مثل برسباي وشاه رخ، فقد كان معاصراً للأحداث.

وقد أفادت الأطروحة من الدراسات الحديثة مثل الدولة المملوكية لأنطون خليل ضومط، ومصر في عهد دولة المماليك الجراكسة لإبراهيم خليل طرخان. ورسالة دكتوراه لأحمد دراج كتبت بالفرنسية بعنوان مصر في عهد برسباي. وأفادت الأطروحة كذلك من المقالات والدوريات المترجمة وغير المترجمة التي أشير إليها في قائمة المصادر والمراجع.

والله أسأل أن أكون قد قدمت في هذا الجهد المتواضع ما يفيد الباحثين ويفتح أمامهم المجال لاستكمال عملي، وهو ولي التوفيق.

الفصل الأول

المبحث الأول :

حياة الأشرف برسباي وعصره

المبحث الثاني :

الأوضاع التي عاصرها الأشرف برسباي

المبحث الأول

حياة الأشرف برسباي وعصره

تقتضي دراسة السياسة الخارجية للسلطنة المملوكية في عهد السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) إلقاء الضوء على حياة هذا السلطان من حيث نشأته وترقيه في الرتب حتى ارتقائه عرش السلطنة، إضافة إلى استعراض أبرز الأحداث التي عاصرها وتأثر بها وأسهمت على الأرجح في صياغة رؤاه ومواقفه مع القوى المختلفة التي تعامل معها.

أولاً: حياة برسباي منذ نشأته وحتى توليه السلطنة

ورد في أغلب المصادر التي أرّخت لحياة هذا السلطان بأنه أبو النصر برسباي الدقماقي[1] ولكن ابن تغري بردي وصاحب كتاب (قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة) يذكرانه باسم «برسباي بن عبدالله[2]».

---

(١) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م). السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ج، الجزءان الأول والثاني حققهما محمد مصطفى زيادة، مصر الجديدة، ١٩٥٦. والجزءان الثالث والرابع حققهما سعيد عبدالفتاح عاشور مطبعة دار الكتب ١٩٧٢، ج٤، ص: ٦٠٧، ١٠٦٥. ويشار اليه فيما بعد المقريزي، السلوك؛ بدر الدين محمود العيني، (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق عبدالرازق الطنطاوي القرموط الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٩٨٩، ص: ٥٠١. ويشار إليه فيما بعد العيني، عقد الجمان؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ٦ج، الجزءان الأول والثاني، حققهما محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، الجزء الثالث، حققه نبيل محمد عبدالعزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، الجزء الرابع، حققه محمد محمد أمين، الهيئة المصرية، ١٩٨٦، الجزء الخامس، حققه نبيل محمد عبدالعزيز، ١٩٨٥، الجزء السادس، حققه محمد أمين، ١٩٩٠، ج٣، ص: ٢٥٥-٢٥٦. ويشار اليه فيما بعد: ابن تغري بردي، المنهل.

(٢) ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص: ٢٥٥-٢٥٦؛
(Qahr al-Wugūh al-ʿAbisa bi-Dikr Nasab al-Garākisa, ms or. 3030. Brit. Mus. نقلاً عن Ahmad Daraʾj, L'Egypte Sous Le regne de Barasbay 825-841/1422-1438. Damas, Institut Francais de Damas,1961, p.11. Subseqently Cited as . Darāj. Le Egypt .

إن غياب أية معلومات في المصادر المشار إليها عن والد لبرسباي باسم (عبدالله)، يرجح أن اسم والده لم يكن معروفاً، وأما سبب إضافته، فيبدو، أنه جاء جرياً على عرف ساد في العصور الإسلامية يجيز إضافة اسم (عبدالله) لكل من لم يُعرف أبوه[1].

لم تحدد المصادر تاريخاً لولادة برسباي، واكتفت بذكر أنه ولد في بلاد الجركس[2]، بيد أن بالإمكان اقتراح سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م تاريخا تقريبياً لولادته، استناداً إلى أن برسباي عندما توفي سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م كان يناهزالستين عاماً[3].

عاش برسباي في كنف أسرة فقيرة الحال، وهذا ما دعا أباه إلى أن يسلمه إلى حداد ينفخ الكير عنده حيث استمر ملازماً له حتى وفاة أبيه[4]، ولم يتح له في مرحلة طفولته أن يحظى برعاية أمه التي تزوجت من رجل باع ولدها لتاجر يهودي يدعى صادق[5].

ويبدو أن برسباي تنقل بين أيدي تجار الرقيق حتى انتهى به

---

(١) محمد بن عبدالرحمن السخاوي، (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ج، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ج٣، ص:٧٤. ويشار إليه فيما بعد السخاوي، الضوء ، وعقب السخاوي في ترجمته لجقمق التركماني قائلاً : (وسمى بعضهم والده عبدالله، وهو اسم لمن لا يعلم اسمه غالباً).

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ص:٦٠٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص:٢٥٥-٢٥٦. وبلاد الجركس هي بعض بلاد جورجيا بين بحر قزوين والبحر الأسود وهي جزء من أقاليم الاتحاد السوفييتي في الوقت الحاضر. إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ١٣٨٢-١٥١٧م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م. ويشار إليه فيما بعد: طرخان، مصر.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ١٠٦٥؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي، (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٦ج، دار الكتب العلمية، بيروت ج١٤، ص: ٢٨٥ ويشار اليه فيما بعد ابن تغري بردي، النجوم.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ١٠٦٥؛ أحمد بن يوسف القرماني (ت ١٠١٩هـ/١٦٣٠م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ٣ج، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٢، ج٢، ص:٣٠٩ ويشار اليه فيما بعد: القرماني، أخبار.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ١٠٦٥؛ العيني، عقد الجمان، ص:٥٠١؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص: ٢٥٥-٢٥٦؛ القرماني، أخبار ج٢، ص:٣٠٩.

ذلك إلى بلاد القرم، ثم إلى بلاد الشام[1] حيث اشتراه نائب ملطية[2]، الأمير دقماق المحمدي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، فصار يعرف منذئذ بـ (برسباي الدقماقي).

ليست ثمة معلومات عن عمر برسباي عندما ارتبط بالأمير المشار إليه، غير أن معرفتنا بأنه دقماق المحمدي -تولى نيابة ملطية بين سنتي (٧٩٧-٨٠١هـ/ ١٣٩٤-١٣٩٨)- تشير إلى أن عمر برسباي كان آنذاك يتراوح ما بين سبعة عشر عاماً وواحد وعشرين عاماً.

لم يبق برسباي في بلاد الشام إلا يسيراً ثم أرسله الأمير دقماق المحمدي إلى مصر هدية إلى السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٨م)؛ مؤسس دولة المماليك الجراكسة[3]. حيث عاش في المحيط القريب من رأس الدولة مما أتاح له الفرصة للبروز وتولي مناصب مهمة بعد ذلك.

ومع وصول برسباي إلى مصر، أمر السلطان الظاهر برقوق بضمه إلى مماليك الطباق[4] وجعله إِنِّياً[5]؛ أي أخاً للأمير جركس القاسمي المصارع

---

(١) المقريزي،السلوك، ج ٤، ص:١٠٦٩؛ ابن تغري بردي النجوم،ج١٤، ص:٧٨ وعن القرم وهي إحدى أهم مراكز البيع لتجار الرقيق الذين يجلبون اليها من القبيلة الذهبية أنظر: انطون خليل ضومط، الدولة المملوكية، دار الحداثة ١٩٨٠م، ص: ٢٥. ويشار إليه فيما بعد ضومط، الدولة المملوكية: B. SPUTER."KIRIM" ENCY, New Edition, Vol. V, P.136-140.

(٢) المقريزي،السلوك، ج٤، ص: ١٠٦٥؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص: ٢٥٥-٢٥٦ وملطية بفتح أوله وسكون الطاء وتخفيف الياء، بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام، انظر شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٥ج، دار صادر، بيروت، ٧٩٢ج٥، ص: ١٩٢-١٩٣. ويشار إليه فيما بعد هكذا الحموي، معجم دقماق المحمدي هو أحد عتقاء الظاهر برقوق والذي أعطى نيابة ملطية بين سنتي ٧٩٧-٨٠١هـ/ ١٣٩٤-١٣٩٨م حول ذلك انظر السخاوي الضوء، ج٣، ص: ٢١٨.

(٣) المقريزي،السلوك، ج٤، ٥٨٢، ١٠٦٥؛ العيني، عقد الجمان، ص ٥٠١-٥٠٢؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٢٥٥-٢٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ٧٨-٧٩.

(٤) المقريزي،السلوك، ج٤، ص ٥٨٢، ١٠٦٥. ويقصد بمماليك الطباق، المماليك السلطانية الذين ينضوون إلى السلطان، وهم صغار، ويقومون بخدمته، وهو الذي يتولى تربيتهم وعتقهم. حول ذلك انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، النهضة العربية، ط٢، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٤٧٧، ويشار إليه فيما بعد: عاشور العصر المماليكي.

(٥) ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٢٥٥-٢٥٦. وحول مدلول هذه الكلمة انظر ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٥٥-٢٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ٧٩.

(ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م)[1] واستمر كذلك ردحاً من الزمن حتى أعتقه السلطان وأخرج له خيلاً، وذلك قبل وفاته سنة (٨٠١هـ/١٣٩٨م)[2].

اهتم السلطان الجديد الناصر فرج (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٨-١٤١٢م) ببرسباي، وولاه وظيفة (الساقي) الخاص به[3]؛ وهو منصب أتاح له أن يكون قريباً من السلطان، مطلعاً على الأحداث المحيطة به.

لا تتوفر معلومات عن المدة التي شغلها برسباي في هذا المنصب قبل أن يتركه ويتجه إلى بلاد الشام ليلتحق بأحد المعارضين للسلطان الناصر فرج، وهو الأمير نوروز الحافظي، الذي أعلن ثورته في مدينة حلب سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م[4]، ثم انضم إلى مناهض آخر للسلطان فرج، وهو الأمير شيخ المحمودي الذي ثار هو الآخر في مدينة دمشق سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م ولازمه حتى سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م عندما تمكن من أن يمهد لنفسه فيصل إلى السلطنة ويزيح كل منافسيه[5] عليها.

جاءت عودة برسباي إلى مصر سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، ضمن من قدموا إليها مع الأمير شيخ المحمودي، فرصة لتوليه مناصب مهمة في الدولة، فما أن تسلم الأمير شيخ السلطنة حتى رقاه إلى مرتبة (أمير مائة ومقدم ألف)[6]؛ أي أنه

---

(١) ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٢٥٥-٢٥٦، وجركس المصارع هو سيف الدين جركس بن عبد الله من خواص الظاهر برقوق، كان نائباً لحلب في عهد السلطان الناصر فرج وكانت وفاته سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م. حول ذلك انظر: ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٢٥٦؛ السخاوي، الضوء، ج٣، ص ٦٧.

(٢) ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٢٥٦؛ السخاوي، الضوء، ج٣، ص٨؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٥٨٢، النجوم، ج١٤، ص ٧٩.

(٣) العيني، عقد الجمان، ص ٥٠٢. والساقي هو الأمير الذي يتولى سقي السلطان على الموائد والإشراف على مد السماط، وتقطيع اللحم. أحمد بن علي القلقشندي، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٥ج، شرحه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧، ج٥، ص ٤٢٦. ويُشار إليه فيما بعد، القلقشندي، صبح.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٤، ص ١٣٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ٨١.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٢٠٦-٢٠٧، ٢٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ٨١.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٥٨٢-٥٨٣؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٢٥٧؛ ابن تغري بردي، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة أو الخلافة، مخطوطة مصورة، مكتبة جامعة =

أصبح من أمراء الألوف الذين يشكلون أعلى القيادات العسكرية في الدولة، بل إن السلطان الجديد عينه -مكافأة له- نائباً للسلطنة في طرابلس[1].

ويبدو أن اختياره هذا نجم عن أن المؤيد شيخ رأى فيه شخصاً قادراً على ضبط أية تحركات معادية له هناك، ولعل هذا ما يُفسر غضبه عليه وإيداعه سجن المرقب سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م بسبب عدم قدرته على كبح جماح مجموعة من التركمان وغيرهم ممن خرجوا عن الطاعة وانهزامه أمامهم[2].

لم تؤثر هذه الصدمة في حياة برسباي فقد وقف إلى جانبه رفيق له هو الأمير ططر[3]، فأفرج عنه السلطان وعينه أميراً في دمشق، بل إنه -أي الأمير ططر- تدخل ثانية ، فأفرج عنه، عندما أصدر نائب دمشق الأمير جقمق أمراً بسجنه[4] وذلك أن برسباي كان معروفاً بصحبته للأمير ططر وقرابته منه[5] وقد ظل برسباي في سجنه إلى أن أُفرج عنه من قبل الطنبغا القرمشي الذي ثار على جقمق نائب الشام[6].

= مؤتة، ومرتبة أمير مائة ومقدم ألف هي أعلى مراتب الأمراء في عصر المماليك. وهذه المرتبة خاصة بأرباب السيوف ويكون في خدمة صاحبها مائة مملوك وهو في نفس الوقت مقدم على ألف جندي من أجناد الحلقة في وقت الحرب، عاشور، العصر المماليكي،ص ٤١٥.

(١) المقريزي،السلوك، ج٤، ص ٥٨٢-٥٨٣؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٢٥٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ٨١؛ السخاوي،الضوء، ج٣، ص ٨.

(٢) المقريزي،السلوك، ج٤، ص ٥٨٢-٥٨٣؛ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت (٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، إنباء الغُمر بأبناء العُمر في التاريخ، ٩ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ج٧، ص ٣٠٥. ويشار إليه فيما بعد هكذا: ابن حجر، إنباء؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٢٥٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص ٢٢٢.

(٣) المقريزي،السلوك، ج٤، ص ٥٨٢-٥٨٣؛ ١٠٦٥-١٠٦٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٢٦٥-٢٦١، وططر كان من مماليك الظاهر برقوق ومن خاصة السلطان الناصر فرج وكان مقرباً للسلطان المؤيد شيخ حيث أصبح المتكلم في أمور المملكة زمن المظفر أحمد بن شيخ، حول ذلك انظر، السخاوي،الضوء، ج٤، ص ٧-٨.

(٤) المقريزي،السلوك، ج٤، ص ٥٨٢-٥٨٣، ١٠٦٥-١٠٦٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٢٥٦-٢٦١. وقد شغل الأمير جقمق نيابة دمشق اعتباراً من سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م إلى سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، عن ترجمته انظر السخاوي،الضوء، ج٣، ص ٧٤-٧٥.

(٥) المقريزي،السلوك، ج٤، ص ٥٨٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ٥٨٣.

يتضح مما ورد آنفاً أن العلاقة بين برسباي والأمير ططر كانت علاقة وثيقة جداً، فما أن تولى الظاهر ططر عرش السلطنة سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م حتى عين برسباي دواداراً له[1] ،ولالا[2] (أي مربياً لابنه الصغير وولي عهده).

جاءت وفاة الظاهر ططر المفاجئة بعد أشهر على توليه السلطنة سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، وتولى ابنه الصغير محمد الذي لم يكن يبلغ من العمر عشر سنوات، فرصة سانحة لبرسباي، ففي حين أنه تمكن من استقطاب عدد من الأمراء إلى جانبه، فقد نجح في إزاحة أكبر المنافسين له، وهو الأمير جانبك الصوفي، الذي كان هو المتكلم في أمور المملكة بعد وفاة الظاهر ططر، حيث ألقي القبض عليه وأودع سجن القلعة ، وهكذا أصبح برسباي هو الرجل الأول في الدولة، يصرّف شؤونها، ويمهد لنفسه لتولى السلطنة؛ وهذا ماتم سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م حيث أعلن سلطاناً ولقب بالأشرف واستمر حكمه حتى سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م[3].

---

(١) المقريزي،السلوك، ج٤، ص: ٥٨٣، ٦٦٠١، ابن حجر، إنباء، ج٩، ص:١٩؛ ابن تغري بردي المنهل، ج٣، ص: ٢٥٨. والدوادار هو الذي يمسك دواة السلطان، أو الأمير، ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه، وتقديم القصص والشكاوي إليه، انظر القلقشندي، صبح، ج٥، ص: ٤٣٤.

(٢) المقريزي،السلوك ، ج٤، ص:٥٨٧، العيني، عقد الجمان، ص:١٥٩ عن مصطلح (لا لا) انظر إبراهيم الدسوقي شتا، المعجم الفارسي الكبير ، ٣ مجلدات، مكتبة مدبولي القاهرة، م٣، ص: ٢٥٧١.

(٣) تقي الدين احمد بن علي الفاسي المكي، (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) شفا الغرام بأخبار البلد الحرام، ٢ج، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٥، ص: ٤١٣، ويشار اليه فيما بعد، الفاسي المكي، شفا الغرام؛ المقريزي،السلوك ، ج٤، ص: ٦٠٧، ١٠٦٥، ١٠٦٦؛ ابن حجر، إنباء ج٧، ص: ٤٥٣-٤٥٤، ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، : ٢٦٢؛ ابن تغري بردي النجوم، ج١٤، ص:٧٨، شمس الدين عبدالرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٦٩)،التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ،٢ج، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٣، ص: ٢١٢، ويشار إليه فيما بعد: السخاوي،التحفة، عبدالباسط بن خليل بن شاهين الملطي، (ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من الخلفاء والسلاطين، تحقيق محمد كمال شمس الدين، وعزالدين الحنبلي، الناشر مكتبة الثقافة العربية، ط١، القاهرة، ١٩٨٧، ١٣١. ويشار إليه فيما بعد ابن شاهين، نزهة الأساطين.

المبحث الثاني

الأوضاع التي عاصرها الأشرف برسباي

عاصر برسباي قبل توليه السلطنة، عهود كل من مؤسس دولة المماليك الجراكسة السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م)(١)، والسلطان الناصر فرج (٨٠١-٨١٥هـ/ ١٣٩٨-١٤١٢م)(٢) ، والمؤيد شيخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤١٢-١٤٢١م)(٣)، ثم ابنه أبي السعادات أحمد (٩محرم ٨٢٤هـ/ ١٤٢٢م، - ٢٩ شعبان من السنة نفسها)(٤)، ثم الظاهر ططر (٢٩ شعبان ٨٢٤هـ- أول ذي الحجة من السنة نفسها)(٥)، ثم ابنه محمد(٤ ذي الحجة- ٨ ربيع الآخر ٨٢٤هـ/١٤٢٢م)(٦).

أي أنه رافق هذه الدولة مع بداياتها، وشهد التحديات التي واجهتها على المستويين الداخلي والخارجي، أما على المستوى الداخلي، فقد اتسمت عهود السلاطين المشار إليهم آنفاً ، باتساع حركات التمرد والعصيان التي قام بها أمراء المماليك ضد سلاطينهم، وإذا كان السلطان الظاهر برقوق؛ وهو مؤسس الدولة قد استطاع أن يسيطر على ما واجهه من ثورات(٧)، فإن ابنه السلطان الناصر فرج الذي لم يكن متمكناً -كأبيه- ، لم يستطيع الصمود أمام تلك التحركات التي قامت سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م واتصلت حتى ٨١٥هـ/١٤١٢م ونجحت

---

(١) المقريزي،السلوك، ج: ٤٧٦، ٩٣٧؛ ابن حجر، إنباء، ج٢، ص: ٩٢، ج٤، ص: ٤٦.

(٢) المقريزي،السلوك، ج٣، ص: ٩٥٩، ج٤، ٢٢٤، ابن حجر، إنباء، ج٤، ص: ٢٦، ج٧، ص: ٥٤.

(٣) المقريزي،السلوك، ج٤، ص: ٢٤٣-٥٥٠، ابن حجر، إنباء، ج٧، ص:٧٠، ٤٠٥.

(٤) المقريزي،السلوك، ج٤، ص: ٥٦٣، ٥٨٢؛ ابن حجر، إنباء، ج٧، ص: ٤٠٥، ٤٢١.

(٥) المقريزي،السلوك، ج٤، ص: ٥٦٣، ٥٨٢، ٥٨٧؛ ابن حجر، إنباء، ج٧، ص: ٤٢١، ٤٢٦.

(٦) المقريزي،السلوك، ج٤، ٥٨٨، ٦٠٦، ابن حجر، إنباء، ج٧، ص: ٤٢٦، ٤٥٣.

(٧) من الثورات التي واجهت السلطان الظاهر برقوق، (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م تلك التي قام بها يلبغا الناصري ومنطاش سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م وقد جاءت مفصلة في المصادر المعاصرة عنها وغيرها من الثورات، انظر: المقريزي، السلوك، ج٣ ص: ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٩، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٩٠، ٥٩٦، ٥٩٨، ٦٠٠، ٦٠٨، ٦٣٨، ٦٤١، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٥٦، ٦٥٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١١ ص: ١٥٩، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٠-٢١٢.

في ازاحته ومقتله سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م[١]، ومع أن حركات التمرد هذه لم تظهر في عهد المؤيد شيخ المحمودي الذي تولى السلطنة سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م إلا في حدود ضيقة[٢] ، فإن مجرد الشعور باحتمال وفاته سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، جعل المقريزي- وهو مؤرخ معاصر له- يتوقع حصول فتنة بسبب ذلك[٣] ، وهو ما حدث فعلاً فقد اعتلى السلطنة بعده ثلاثة سلاطين خلال سنة واحدة أو يزيد وهم أحمد بن المؤيد شيخ، تحت وصاية الأمير ططر ومدة حكمه لا تزيد على أشهر (٨٢٤هـ/١٤٢١م)[٤]، والظاهر ططر (٢٩ شعبان ٨٢٤هـ- أوائل ذي الحجة/٨٢٤هـ) ، وقد حكم فترة قصيرة[٥]، ومحمد بن الظاهر ططر ٤ ذي الحجة ٨٢٤- ٨ ربيع الآخر ٨٢٥هـ/١٤٢٢م الذي حكم تحت وصاية برسباي[٦].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تزامن مع قيام هذا النوع من الثورات فقدان للأمن وغلاء للأسعار، وهو ما يتضح من الصورة التي اعطاها المقريزي عن الوضع الداخلي في مصر عندما أُشيع موت المؤيد شيخ -وهو ما أشرنا إليه آنفاً- فقد ربط توقع قيام الفتن بموت السلطان وما ساد المجتمع المصري آنذاك، حيث قال: (وقد كثر عبث المفسدين، وقطاع الطريق ببلاد الصعيد، وفحش قتل الأنفس، واخذ الأموال هناك، ومع ذلك فالأسواق كاسدة، والبضائع بأيدي التجار

(١) من الأمراء الخارجين عن الطاعة السلطانية شيخ ونوروز وجكم ففي سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م خرج جكم؛ نائب حلب ومعه نوروز وغيره فقدم كتاب السلطان يريد نوروز وغيره، السلوك، ج٤ ص: ٦٧، وفي سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩ أعلن الأمير شيخ خروجه عن الطاعة السلطانية، وأنظر السلوك ٤، ص:٩٢، وفي سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م أعلن شيخ بدمشق ونوروز بحلب الخروج عن الطاعة السلطانية، السلوك ج٤، ص، ١٣٦، وفي سنة ٨١٤هـ/١٤١١م تاكد خروج الأميرين شيخ ونوروز. واستمر خروجهما حتى نزل السلطان اللجنون يريد محاربتهم فانتهى الأمر بتولي شيخ السلطنة في سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م، السلوك، ج٤، ص:٢٠٦-٢٠٧، ص: ٢٣٠.

(٢) حول ذلك، انظر المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٢٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٥٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص: ٥٦٣، ٥٨٢؛ ابن حجر إنباء، ج٧، ص: ٤٢١، ٤٢٦.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٥٨٢، ٥٨٧، ابن حجر، إنباء ج ٧، ص: ٤٢١، ٤٢٦.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٥٨٨، ٦٠٦، ابن حجر إنباء، ج٧، ص: ٤٢٦، ٤٥٣.

بايزة والأحوال واقفة، والشكاية قد عمت، فلا تجد إلا شاكياً وقف حاله، وقل مكسبه وجور الولاة والحكام وأتباعهم متزايد[1]».

وقد عانت البلاد كثيراً جراء انتشار وباء الطاعون، مما أودى بحياة أعداد كبيرة من الناس، خلال سنوات ٧٨٧-٨٢٥هـ[2].

لقد كان طبيعياً أن تترك هذه الأوضاع التي غمرت العصر الذي عاش فيه برسباي بصمات سلبية على الأوضاع الداخلية للبلاد، وخلق حالة من القلق واستنزاف الكثير من طاقات المجتمع والدولة.

أما على صعيد العلاقات الخارجية للدولة فقد شهد هذا العصر جملة من التحديات الخارجية يمكن تناولها على النحو التالي:

١- الخطر التيموري :

تمكن تيمورلنك[3] في حدود سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م أن يتزعم قبائل عديدة من المغول والتركمان، ويؤسس دولة في بلاد ما وراء النهر[4]. لم تلبث أن اكتسحت أراضي الدولة الجلائرية في اذربيجان والعراق وفارس [5]، وتمكنت أن تحتل بغداد سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م[6].

وقد كان لهذا الغزو التيموري وما رافقه من تخريب وقتل أثره السلبي

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٥٤٩.

(٢) انظر الجدول رقم (١) .

(٣) تيمورلنك بن طرغاي، (٧٧١-٨٠٧هـ/ ١٣٧٠-١٤٠٥م)، أسس دولته في بلاد ما وراء النهر واتسع باتجاه بلاد فارس واذربيجان والعراق عنه انظر بوفاء تيمورلنك». دائرة المعارف الإسلامية، دار الفكر، م٦، ص: ١٥٩-١٦٤؛ كليفورد، بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة حسين علي اللبّودي، مؤسسة الشراع العربي، ط٢، الكويت، ١٩٩٥، ص: ٢٢٩. ويشار إليه فيما بعد بوزورث، الأسرات.

(٤) طرخان، مصر، ص: ٨٩؛ بوزورث، الأسرات، ص: ٢٣٠.

(٥) بوزورث، الأسرات، ص: ٢٢٨-٢٣٠.

(٦) ابن حجر، إنباء، ج٣، ص: ١٥٠-١٥١؛ علي بن داود الصيرفي، ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م. نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ٣ج، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١، ج١، ص: ٣٦٦. ويشار إليه فيما بعد الصيرفي، نزهة.

في مجتمع بلاد الشام ومصر، وهو ما عبر عنه ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)[1] ، ضمن حديثه عن حوادث سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م، بقوله: «نودي بأمر السلطان في الناس بمصر والقاهرة أن يتجهزوا لقتال لتيمورلنك وطرده عن بلاد الإسلام فإنه قتل العباد وخرب البلاد وهتك الحريم وقتل الأطفال....».

إن اقتراب الخطر التيموري من حدود دولة المماليك الجراكسة، شكل تهديداً مباشراً لها من النواحي التالية:

١- إن تمكن تيمورلنك من غزو العراق واحتلال بغداد، كان يعني خسارة لقوة حليفة للمماليك، وهي الدولة الجلائرية، وقد قام سلطان هذه الدولة وهو أحمد ابن أويس بالالتجاء إلى المماليك طالباً عونهم لاستعادة ملكه وطرد التيموريين وقد كان المماليك حريصين على الإستجابة له، لأن استعادة العراق من التيموريين يعني عودة لدولة حليفة من جهة، ودولة حاجزة تدفع بالخطر التيموري إلى مناطق بعيدة عن الحدود المملوكية من جهة أخرى[2].

٢- قام التيموريون بالاستيلاء على بعض الأراضي التابعة للمماليك مثل مدينة ماردين[3] ، مما يشير إلى أن طموحاتهم التوسعية تتجاوز حدود العراق إلى بلاد الشام ومصر.

٣- أرسل تيمورلنك سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م، إلى السلطان الظاهر برقوق رسالة يحتج فيها على إسناده للسلطان الجلائري أحمد بن أويس ويتوعده قائلاً: «فالويل كل الويل لمن لم يتمثل أمورنا، فإنا قد خربنا البلاد وأهلكنا العباد وأظهرنا في

---

(١) ابن حجر، إنباء، ج٣، ص: ١٦٦.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ص: ٧٨٨-٧٩٠؛ حيدر الشهابي تاريخ الأمير حيدر الشهابي، ج٤، علق حواشية مارون رعد إشراف نظير عبود، ج٢، ص: ٦٢٥. ويشار إليه فيما بعد حيدر الشهابي، تاريخ.

(٣) ابن حجر، إنباء، ج٣، ص: ٢٠٢، عن التوسعات التيمورية أيضاً أنظر إنباء، ج٤، ص: ١٨٩-١٩٠ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص: ١٧٠. حسان ابن الطولوني، (ت ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م)، النزهة السنية في ذكر الخلفاء والملوك المصرية. مخطوطة في مركز الوثائق والمخطوطات الجامعية الأردنية رقم الفلم ٣٤١، الرقم المتسلسل ١٨١٥، ص: ٢١٧، ويشار إليه فيما بعد، ابن الطولوني. النزهة السنية.

الأرض من الفساد....)[1].

مما دعا الظاهر برقوق إلى طرد الرسل[2] والتهيؤ لدرء هذا الخطر حيث اتخذ الإجراءات التالية:

١- غادر إلى بلاد الشام سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م على رأس حملة عسكرية، وبقي فيها خمسة أشهر وعشرة أيام يراقب التحركات التيمورية، وقد نجح خلال ذلك بتكوين حلف مناهض للتيموريين يتكون من مغول القبجاق، والعثمانيين، وحاكم سيواس المعروف بقاضي سيواس[3].

٢- استغل فرصة خروج تيمورلنك من العراق، وهيأ لعودة السلطان أحمد بن أويس إلى مركز حكمه في بغداد (بعد الإنعام والإكرام وكتابة تقليده بولايته). مما يؤكد السيادة المملوكية على العراق[4].

٣- لكي يؤمّن نجاح السلطان أحمد بن أويس في العودة إلى العراق، واستقرار الأوضاع فيه، اتجه الظاهر برقوق نحو مدينة حلب في ذي القعدة من سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م، واستمر فيها حتى وصل رسول من السلطان أحمد بن أويس (يخبر بأنه دخل بغداد ،وقعد على سريره، وخطب باسمه..)[5].

جاء رد فعل تيمورلنك على هذا التحرك المملوكي وما نجم عنه من عودة الحكم في العراق إلى الجلائريين ثانية، مباشراً، حيث قاد جيوشه مكتسحاً البلاد منطقة بعد أخرى، ومستغلاً وفاة السلطان الظاهر برقوق (ت ٨٠١هـ/١٣٩٨م)

---

(١) المقريزي،السلوك، ج٣، ص: ٨٠٣..

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص: ٨٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص: ٨٠٧، ٨١٣، ٨١٧. ومغول القبجاق هم إحدى السلالات المغولية التي تُعرف بـ (خانات القبيلة الذهبية)، حكموا من ٦٢٣-٩٠٧هـ/١٢٢٦-١٥٠١م. بروزورث، الأسرات، ص: ٢١٢-٢١٣، أما العثمانيون فقد حكموا من ٦٨٠-١٣٤٢هـ/١٢٨١-١٩٢٤م. المصدر نفسه، ص: ١٩٢-١٩٦. وعن القاضي برهان الدين حاكم سيواس الذي لقي حتفه في قتاله مع قرايلك، انظر هيوار، «برهان الدين»، دائرة المعارف الإسلامية، م٢، ص: ٦٠٥-٦٠٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص: ٨١٤، ٨١٧؛ ابن حجر، إنباء، ج٣، ص: ٢١٠-٢١١.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص: ٢١٣.

وتولي ابنه السلطان الناصر فرج (٨٠١-٨١٥هـ/ ١٣٩٨-١٤١٣م)، فما أن حلت سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٥م حتى اجتاز العراق واصبح (الناس في أمر مريج من اضطراب البلاد الشمالية بطروق تمر..) إلى أن ترادفت الأخبار من نواب البلاد الشامية أن أوائل عساكره على عنتاب، بل على الباب وبزاغة)- على حد تعبير المؤرخ ابن حجر العسقلاني[1].

ولم تمض بضعة أشهر من العام نفسه حتى حاصرت العساكر التيمورية مدينة حلب ثم مدينة دمشق، وتمكنت منهما، ثم اتجهت -بعد أن أقام تيمورلنك في بلاد الشام قرابة ثمانين يوماً- نحو آسيا الصغرى حيث اصطدم مع القوات العثمانية سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م. وتمكن من أن يأسر السلطان بايزيد العثماني[2].

ويبدو أن هذه الانتصارات التي حققها تيمورلنك اضطرت الناصر فرج على إطلاق سراح أحد الأسرى التيموريين من أقرباء تيمورلنك، وهو اطلمش، بل وإرساله (مع هدية جليلة ومسفر) إلى تيمورلنك، ومع أن تيمورلنك أعاد رسول الناصر فرج في مطلع سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م مع هدية إلا أنه أرسل في (جملة الهدية خلعة بأن يكون الناصر فرج نائبه بالديار المصرية والشامية[3]، ويعني هذا في واقع الأمر تأكيداً للمطامع التيمورية تجاه دولة المماليك.

لقد كان هذا الصلح هشاً، وكان يعني أن احتمالات التصادم كبيرة، بيد أن وفاة تيمورلنك سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م أخرت ذلك، حيث انشغل ابنه، شاه رخ (٨٠٧-٨٥٧هـ/ ١٤٠٤-١٤٥٣) الذي تولى الحكم بعده، في توطيد الأمور في الدولة التيمورية بَيْدَ أنه عاد إلى سياسة والده[4] التوسعية مجدداً، وقد بدأت أولى

(١) ابن حجر، إنباء، ج٤، ص: ١٨٩-١٩٠. وعنتاب قلعة حصينة بين حلب وأنطاكيا. الحموي، معجم، ج٥، ص: ١٩٢-١٩٣، والباب بُليدة ذات سوق وحمام ومسجد جامع، بها بساتين كثيرة. أما بزاغا فضويعة من أعمال الباب. انظر: عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبي الفداء، ت(٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تقويم البلدان، طبع في باريس ١٨٩٠م، ص: ٢٦٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ص: ١٠٢٧-١٠٢٨، ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص: ١٧٩-١٨١، الصيرفي، نزهة، ج٢، ص: ١٥٠-١٥٢، الشهابي، تاريخ، ج٢، ص: ٦٦٧-٦٧٠.

(٣) ابن حجر، إنباء، ج٥، ص: ١٣٠.

(٤) طرخان، مصر، ص:٨٩؛ بوزورث، الأسرات، ص: ٢٣٠.

تحركاته العسكرية سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م ضد المماليك بمهاجمة إمارة حليفة للمماليك وهي إمارة قراقوينلو (الخروف الأسود) التي حلت محل الجلائريين في كل من العراق وبلاد فارس[1].

إن تحرك شاه رخ في هذا الاتجاه، يعني احتمال اقتراب الخطر التيموري مجدداً من الحدود المملوكية، كما أن أي تراجع لإمارة قراقوينلو (الخروف الأسود) أمام التيموريين كان يعني خسارة لإمارة تحجز بينهم، وبين هذا الخطر.

ولقد تمكن شاه رخ فعلاً من السيطرة على معظم أراضي إمارة الخروف الأسود، واستولى على عاصمتها تبريز، وفي حين فرّ الكثير من أهالي بغداد إلى بلاد الشام خوفاً من قدوم شاه رخ[2]، فإن قرا يوسف (٨٠٩-٨٢٣/ ١٤٠٦-١٤٢٠م استعد لمحاربته في سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م[3].

ويبدو أن شاه رخ آثر في أعقاب انتصاره هذا، وقبيل تولي الأشرف برسباي السلطنة، أن يتبع سياسة جديدة تحقق له فرض هيمنته على الأقاليم الواقعة غرب إيران (العراق، بلاد الشام، الحجاز ومصر)؛ وهو ما ستتناوله الدراسة في الصفحات التالية.

لقد عاش الأشرف برسباي، تطورات العلاقة بين المماليك وتيمورلنك ثم ابنه شاه رخ، منذ أن انضم إلى الطباق المملوكية في عهد السلطان الظاهر برقوق وحتى وصوله إلى السلطنة سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م. فإلى أي مدى نجح في معالجة التحركات التيمورية بزعامة شاه رخ التي أشرنا إليها آنفاً. هذا ما ستحاول هذه الدراسة الإجابة عليه .

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٣٠٠، وقد تكرر هجوم شاه رخ أيضاً في سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م ، انظر العيني، عقد الجمان، ص: ٣٢٧-٣٢٩، وهجم شاه رخ ثانية في سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، انظر المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٥٣٣.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٦١١.

(٣) العيني، عقد الجمان، ص: ٣٢٧- ٣٢٩. وقرايوسف من أمراء قراقوينلو (الخروف الأسود) حكم من ٧٩١هـ/١٣٨٩م-٨٢٣هـ/١٤٢٠م. بوزورث، الأسرات، ص: ٢٣٢.

٢- الإمارات التركمانية :

مع بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، نشأت مجموعة من الإمارات التركمانية، في آسيا الصغرى وأذربيجان، ومنطقة الجزيرة الفراتية أبرزها إمارة بني عثمان (٦٨٠-١٢٨١هـ/ ١٣٤٢-١٩٢٤م)، وإمارة بني قرمان (٦٥٤-٨٨٨هـ/١٢٥٦-١٤٨٣م)، وإمارة قراقوينلو (الخروف الأسود) (٧٨٢-٨٧٣هـ/ ١٣٨٠-١٤٦٨م)، وإمارة آق قوينلو (الخروف الأبيض) (٧٨٠-٩١٤هـ/ ١٣٧٨-١٥٠٨م)، وإمارة بني رمضان (٧٨٠-٩٨٠هـ/١٣٧٨-١٥٧٢م)،وإمارة ذلغادر (٧٤٧-٩٢٣هـ/١٣٣٩-١٥١٧م)[١].

خضع معظم هذه الإمارات الصغيرة للسيادة المملوكية بحكم حاجتها إلى دولة أكبر تحميها، كما أن دولة المماليك هي -الأخرى- كانت حريصة على أن تكون لها هذه الحماية، نظراً لإن تجارة الرقيق الأبيض وبخاصة من بلاد الجركس -وهما تجارة ذات أهمية بالغة لدولة المماليك الجراكسة- كانت تمر عبرها إضافة إلي إنها كانت مورداً كبيراً لما تحتاجه مصر والشام من الأغنام[٢]، ثم إن هذه الإمارات بحكم امتداد رقعتها بين أذربيجان وأعالي الفرات وسواحل بحر إيجه، كانت تتمتع بموقع حيوي ذي أهمية عسكرية بالغة[٣]، كما أنه من المعروف أن معظم الغزاة الذين غزوا بلاد الشام اعتادوا مهاجمتها عبر الحدود الشمالية المتاخمة لبلاد التركمان.

ومن هنا فقد تبنى المماليك سياسة ثابتة تجاه هذه الإمارات يمكن أن نجملها بما يلي:

١- الاعتراف بشرعية هذه الإمارات، (ما دامت خاضعة للسيادة المملوكية)، والتصدي لها كلما حاولت الخروج على ذلك.

---

(١) عن هذه الإمارات انظر أدناه، ص ٣٥-٧٨.

(٢) ضومط، الدولة المملوكية، ص: ٢٦؛ الحسو، الزهيري، بحث مقبول للنشر في مجلة دراسات تركية، الموصل، ص ٨.

(٣) المقريزي،السلوك، ج٣، ص: ٣٤٨؛ الحسو، الزهيري، ص:٨.

٢- رفض أي نفوذ سياسي لأية قوة سياسية أخرى على هذه الإمارات، تقلل من النفوذ المملوكي عليها، والتصدي له عسكرياً.

٣- حماية هذه الإمارات عند تعرضها للخطر، سواء بمحاولات توسع بعضها على حساب البعض الآخر، أو بسبب غزو خارجي[١].

بَيْدَ أن هذه السياسة واجهت متغيرات قللت من إمكانية الالتزام بها، ذلك أن ظهور التيموريين في بلاد ما وراء النهر، وما أشير إليه آنفاً من توجههم للسيطرة على المناطق الواقعة غرباً، رافقه محاولات لكسب الإمارات التركمانية إلى جانبهم[٢]، وقد أدى هذا إلى أنها -أي الإمارات التركمانية- بدأت تسلك سلوكاً يتلاءم مع الوضع الجديد، فتأرجحت بين ولاء للمماليك أو ولاء للتيموريين، بل إن إحدى الإمارات؛ وهي إمارة آق قوينلو، انحازت إلى صفوف التيموريين.

ولقد شجع هذا على قيام بعض الإمارات التركمانية بالتوسع على حساب البعض الآخر[٣]، متجاهلة ثوابت السياسة المملوكية التي أشير إليها آنفاً [٤]، بل إن بعضها أصبح يهدد التجارة المملوكية.

إن نظرة إلى الجداول رقم (٢/١، ٢/٢، ٢/٣، ٢/٤، ٢/٥) يوضح أن الإمارات التركمانية شغلت إحدى التحديات الكبيرة التي واجهتها السياسة المملوكية منذ نشأتها، والتي كان عليها دائماً- وبسبب من مصالحها- أن تتعامل بما يبقيها إلى جانبها، وفي إطار الثوابت آنفة الذكر. كما يتضح أن السنوات العشر الأخيرة قبل تسلم برسباي السلطنة، شهدت قدراً كبيراً من المحاولات من عدد من الإمارات التركمانية للتصرف خارج إطار التبعية للمماليك[٥]، بل إن

---

(١) الحسو، الزهيري، ص: ١٠.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ص: ٩٠٦؛ ابن حجر، إنباء، ج٦، ص: ٢٢٦-٢٢٧؛ الصيرفي، نزهة، ج٢، ص: ٤٢٣-٤٢٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٥٣٥-٥٣٦؛ ابن حجر، إنباء، ج٦، ص: ٣٨٦-٣٨٨، ج٧، ص: ٣٤٤.

(٤) انظر ص٢١-٢٢ من هذه الأطروحة.

(٥) انظر الجداول في الملاحق.

بعضها هاجم الأراضي المملوكية، مما دفع السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٣-١٤٢١م) إلى إرسال حملتين كبيرتين، أولاهما بقيادته والثانية بقيادة ابنه إبراهيم بهدف إعادة الأمور إلى وضعها الطبيعي من وجهة النظر المملوكية[١].

وإذا كان المؤيد شيخ وابنه إبراهيم قد نجحا في إخضاع المنطقة، وهيئا للأشرف برسباي سنوات هادئة نسبياً مع الإمارات التركمانية، فإن ذلك الهدوء لم يكن إلا بسبب الضربات القوية التي وجهت إليهم، لذا فقد ظلت الإمارات التركمانية أحدى أكبر التحديات التي كان على الأشرف برسباي أن يعالجها.

٣- الخطر الفرنجي :

هيمنت دولة المماليك الجراكسة على طريق التجارة العالمية عبر البحر المتوسط والبحر الأحمر، شأنها في ذلك شأن سابقتها دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م) بحكم الموقع الحيوي الذي تحتله[٢]، لذا فقد حرصت القوى التجارية في أوروبا أن ترتبط بعلاقات إيجابية مع المماليك، تأميناً لمصالحها التجارية، بل إن هذه القوى تنافست مع بعضها -وبخاصة جمهوريتا البندقية[٣]، وجنوة[٤]- من أجل الحصول على دور تجاري أكبر، وحيث أن جمهورية البندقية استطاعت أن تكسب الموقف لصالحها، محتكرة بذلك معظم النشاط التجاري عبر البحر المتوسط[٥]، فقد جاء رد فعل منافستها في هذا المجال؛

(١) العيني، عقد الجمان، ص: ٢٧٨-٢٨٨؛ ٣٣٠، ٣٤٣، ٣٧١، ٣٧٢؛ الصيرفي نزهة، ج٢، ص: ٤٣٦؛ ابن إياس، بدائع، ج٢، ص: ٤٠، ٤٩.

(٢) ضومط، الدولة المملوكية، ص١٨١.

(٣) ضومط، الدولة المملوكية، ص٢٢٨-٢٣٤؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية،١٩٨٦، ص١٧٣-١٧٤ ويشار إليه فيما بعد، السيد سالم، تاريخ صيدا.

(٤) ضومط، الدولة المملوكية، ص٢٣٣؛ السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، ١٩٦٦م، ص٣٥١-٣٥٢. ويشار إليه فيما بعد: السيد سالم، طرابلس الشام.

(٥) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون (١٥١٦-١٩١٦)، ط١، دمشق، ١٩٧٤، ص ٢٣. ويشار إليه فيما بعد، رافق، العرب والعثمانيون.

جمهورية جنوة سلبياً، حيث بدأت تمارس أعمالاً عدوانية لعرقلة التجارة المملوكية[1] واستعانت -تنفيذاً لهدفها هذا- بالفرنج في قبرص[2]، وفي رودس[3]، كما استعانت بقراصنة البحر المتوسط من الفرنج[4]، وقد خلق هذا الوضع حالة من الفوضى وفقدان الأمن أمام التجارة المملوكية في البحر المتوسط، وفي الموانئ المملوكية عبر سواحل مصر وبلاد الشام، وذلك ابتدأ بسنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م؛ أي بعد سنة من تأسيس دولة المماليك الجراكسة، وحتى سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م ، كما يتضح من الجدول رقم (٣)[5].

إن هذا ما دعا دولة المماليك الجراكسة إلى اعتبار معالجة هذه المشكلة إحدى مرتكزات سياستهم الخارجية، لذا فقد عملوا منذ بداية تأسيس دولتهم سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م على تدعيم قوتهم البحرية في البحر المتوسط[6]، والرد على اعتداءات الفرنج[7].

وعلى الرغم من أن المماليك فكروا قبل وصول برسباي إلى السلطنة أن يهاجموا القاعدتين الرئيسيتين للفرنج في البحر المتوسط، وهما قبرص ورودس

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٥٦٢؛ حمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن سباط، (ت ٩٢٦هـ/١٥١٨م)، صدق الأخبار في تاريخ ابن سباط، ٢ج، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، طرابلس، لبنان، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٧٣٥، ويشار إليه فيما بعد: ابن سباط، تاريخ؛ السيد سالم، تاريخ صيدا، ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) عزمي عبد الله أبو عليان، مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك، دار النفائس، ط١، الأردن، ١٩٩٥، ص١٢٥، ويشار إليه فيما بعد: عزمي أبو عليان، مسيرة؛ حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٥٢، ويشار إليه فيما بعد: عبد السيد، قيام دولة المماليك.

(٣) عبد السيد، قيام دولة المماليك، ص ١٢٥، ورودس هي إحدى أهم الجزر التي كانت تشكل خطراً يهدد أمن المماليك. انظر ايتوري روسي، «رودس»، دائرة المعارف الإسلامية، ١٥م، دار الفكر، م١٠، ص ٢١٣-٢١٥، ويشار إليه فيما بعد: روسي، رودس.

(٤) ضومط، الدولة المملوكية، ص ٢٤٢، ٢٤٤.

(٥) انظر الجدول رقم (١/٣).

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٤٩٨-٥٠٠؛ ابن حجر، إنباء، ج٢، ص ١٢٧-١٢٨.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٥٦٢.

واللتين اتخذتا منطلقاً للتحركات المعادية لهم[1]، فإنهم لم ينجحوا في إيقاف هذا التحدي الذي شكل تهديداً للمورد الأساسي الذي تعتمد عليه الدولة المملوكية.

يتضح مما ورد أعلاه، أن العلاقات الخارجية لدولة المماليك الجراكسة عند تولي الأشرف برسباي السلطنة سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، اتسمت بالتأزم مع كل من التيموريين والفرنج، وهو ما أدى إلى اضطراب العلاقة مع عدد من الإمارات التركمانية وحكام الحبشة، في حين أن علاقاتها كانت طبيعية مع قوى سياسية معاصرة أخرى.

ترى كيف أصبحت عليه هذه العلاقات في عهد الأشرف برسباي (٨٢٥هـ-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)، وما هي السياسة التي تبناها حلاً لمشكلات ترجع جذورها إلى حقب سبقته، على الرغم من أنه لم يكن بعيداً عنها، فقد كان قريباً أو مشاركاً في الإدارة العليا لدولة المماليك الجراكسة منذ عهد الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٧م)، أي أنه كان عارفاً بإشكاليات السياسة الخارجية لهذه الدولة، مما يتوقع أن يكون له أثره في تحديد موقفه منها، وأسلوب معالجته لها، إن هذا هو ما ستحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء عليه في الفصول التالية.

(١) طرخان، مصر، ص ٩٥-٩٦؛ السيد سالم، طرابلس الشام، ص ٢٣٩.

الفصل الثاني

المبحث الأول :

سياسة الأشرف برسباي تجاه التيموريين

المبحث الثاني :

سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة آق قوينلو

المبحث الأول

سياسة الأشرف برسباي تجاه التيموريين

لقد كان اقتراب التيموريين من الحدود المملوكية سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، عندما نجحوا في غزوهم لدولة حليفة لدولة المماليك الجراكسة؛ وهي دولة قرا قوينلو (الخروف الأسود) وتمكنوا من السيطرة على أجزاء كبيرة من الأراضي التابعة لها في العراق وبلاد فارس[1]، يحمل في طياته أمرين:

أ- احتمال استمرار سيطرة شاه رخ على بقية بلاد فارس والعراق وأذربيجان، وهو أمر يعني إبدال قوة صديقة هي دولة قرا قوينلو (الخروف الأسود) بقوة ذات اتجاهات معادية.

ب- إن هذا الاقتراب سيؤدي بالضرورة إلى تزايد احتمالات التدخل في الشؤون المملوكية، لذا فإن الأشرف برسباي في أعقاب تسلمه السلطنة سنة ٨٢٥هـ/١٤٢١م أعطى اهتماماً لهذه المشكلة في علاقاته مع التيموريين وإن كان ذلك لم يتجاوز حدود هذا الموقف الجذر الذي يمكن تلمسه من الرسائل المتبادلة بين شاه رخ وبرسباي، والتي ابتدأت سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م وانتهت سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م، أي حتى السنة الأخيرة من حكم الأشرف برسباي. وفيما يأتي دراسة لهذه الرسائل.

<u>الرسالة الأولى :</u>

يفهم مما أورده ابن حجر -وهو مؤرخ معاصر وقريب من السلطان، حيث كان يشغل وظيفة قاضي قضاة الشافعية في عهد برسباي- ضمن يومياته عن أحداث سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م أن جواباً أرسل إلى شاه رخ على رسالة كانت قد

(١) انظر ص ٤٣ من هذه الأطروحة.

وصلت اليه قبل التاريخ المشار إليه حيث قال: (وفيها سارت الهدية من مصر إلى بلاد العجم لملكها شاه رخ بن اللنك، وكان أرسل يسأل في أن يؤذن له في كسوة الكعبة من داخل، فكتبت أجوبته[1]).

ومع أن ابن حجر لم يحدد مضمون الإجابة، إلاّ أن بالإمكان الاستنتاج بأن الأشرف برسباي لم يستجب له طلبه كسوة الكعبة بحكم أن هذه المشكلة ظلت موضوع الرسائل التالية لشاه رخ.

الرسالة الثانية :

وردت أخبار هذه الرسالة مع بداية سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م، لدى كل من المقريزي، وابن حجر العسقلاني، والعيني، وابن تغري بردي والصيرفي وقد اتفقت الروايات في ما أوردته عن مضمون الرسالة، وأنها ركزت على طلب السماح له بكسوة الكعبة، وأنه استدعى من الأشرف برسباي أن يرسل له هدايا ذكر المقريزي بينها كتابه (السلوك لدول الملوك، وكتاب فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر).

أما رد الأشرف برسباي على هذه الرسالة، فقد اختلف المؤرخون في مضمونه، فقد أشار ابن حجر أن السلطان زوده بثلاث مجلدات من أوائل كتاب (فتح الباري...)، بينما ذكر ابن تغري بردي أن السلطان (لم يلتفت إلى كتابه... وكتب بالمنع في كل ما طلبه[2]. ولعل ابن تغري بردي يقصد بالمنع الموضوع الأساس في الرسالة وهو كسوة الكعبة، أما المقريزي فلم يشر إلى الرد.

الرسالة الثالثة :

أشار المقريزي، وغيره من مؤرخي العصر، كابن حجر العسقلاني،

---

(١) ابن حجر ، إنباء، ج٨، ص: ٦٤.

(٢) المقريزي،السلوك ، ج٤، ص ٨١٨؛ ابن حجر. إنباء ، ج٧ ص:١٩٤، ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ١٧٠.

والعيني، إلى وصول قاصد آخر من شاه رخ مع رسالة إلى الأشرف برسباي في ٢٣ رمضان من سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م (صحبة شريف اسمه هاشم بغير ختم، أوله: «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ...» وخاطب السلطان فيه بالأمير، وتضمن عبارات غير ودية عبر عنها أحد المؤرخين بقوله: «وأبرق وأرعد وهدد»[1].

وقد ورد خبر هذه الرسالة كذلك لدى كل من الصيرفي ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م[2]، وابن إياس ت.٩٣٠هـ/١٥٢٩م.

أما رد الأشرف برسباي فقد جاء على حد تعبير ابن حجر العسقلاني (من جنس كتابه)، أي بالأسلوب الذي يرد على تهديدات وادعاءات شاه رخ[3].

الرسالة الرابعة:

أشار المقريزي وابن حجر إلى أن رسالة لشاه رخ وصلت الأشرف برسباي، وهي رسالة مؤرخة في ذي الحجة أواخر سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م، بيد أن حاملها؛ وهو السيد الشريف تاج الدين علي بن عبدالله الحسيني الشيرازي، وصل إلى القاهرة في المحرم من سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م[4].

ويبدو أن المقريزي لاحظ تاريخ كتابة الرسالة المرسلة سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م فأورد الخبر ضمن حديثه عن حوادث هذه السنة، ولكنه عاد وأشار إليها سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م أيضاً [5]. وقد وردت هذه الرسالة كذلك لدى العيني (ت ٨٥٥هـ/

(١) المقريزي، السلوك، جـ٤، ص٨٢٣؛ ابن حجر، إنباء، جـ٨، ص٢٠٤؛ العيني، عقد الجمان، ص٣٧٦.

(٢) الصيرفي، نزهة، جـ٣، ص١٩٧.

(٣) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص ٢٠٤.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٨٨٧؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص٣٢٩.
تاج الدين علي بن عبدالله الشيرازي؛ وهو أحد أشراف شيراز، أرسل من قبل شاه رخ سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م وكان وصوله في سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م طالباً كسوة الكعبة ... عن ذلك انظر المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٩٢٧، ٩٣٢.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ص٩٣٢، ٩٤٦.

١٤٥١م)[1]، وابـن تغـري بـردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)[2]، والصـيـرفي (ت ٩٠٢هـ/ ١٥٢٣م)[3].

أجمع هؤلاء المؤرخون على أن مضمون الرسالة تركز على طلب الإذن لشاه رخ بكسوة الكعبة، وزيارة القدس الشريف، بالإضافة إلى أنه أنكر على السلطان بأخذ الرشوة من القضاة والمكوس من التجار في بندر جدة. وتضمنت الرسالة كذلك عبارات فيها وعيد للسلطان[4].

ويبدو أنه قد نُسب إلى هذه الرسالة ما تضمنته رسالة شاه رخ الخامسة التي سيشار إليها تالياً.

وقد ذكر المؤرخون المشار إليهم آنفاً، أن السلطان برسباي، أحضر الرسول المشار إليه وقضاة مصر (ودار بينهم كلام، تعلق بالرسالة المذكورة وانفصل المجلس) على ما يلي:

أولاً : اعتذر السلطان (من الإجابة خشية أن يتطرق إلى ذلك -أي طلب كسوة الكعبة- غيره من الملوك). وقد قنع رسول شاه رخ بهذا[5].

ثانياً : جُهز مهمندار السلطان أقطوه رسولاً من قبل الأشرف برسباي إلى شاه رخ مع هدية وجواب ردّ فيه على ما جاء في رسالته إليه[6].

---

(١) العيني، عقد الجمان، ص٤٥٤.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٠٠-٢٠١، ٢٤٥.

(٣) الصيرفي، نزهة، ج٣، ص٢٥٥، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣١٨.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٧٨٧، ٩٣٢، ٩٤٦؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص٣٢٩، ٣٨٢، ٣٨٣؛ العيني، عقد الجمان، ص٤٥٤-٤٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ٢٠٠-٢٠١، ٢٤٥؛ الصيرفي، نزهة، ج٣، ص ٢٥٥، ٣٠٦، ٣١٨.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٩٣٢؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص٣٢٩؛ العيني، عقد الجمان، ص٤٥٤-٤٥٥.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٩٣٢؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص٣٢٩؛ العيني، عقد الجمان، ص٤٥٤-٤٥٥؛ وعن أقطوه الموساوي الذي شغل وظيفة مهمندار السلطان الأشرف برسباي انظر السخاوي، الضوء، ج٢، ص ٣١٨-٣١٩. والمهندار هو الذي يتلقى رسل العربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة. القلقشندي، صبح، ج٤، ص ٢٢؛ عاشور، العصر المماليكي، ص ٤٧٨.

الرسالة الخامسة:

ورد ذكر هذه الرسالة لدى كل من المقريزي[1] وابن حجر[2] والعيني[3]، وابن تغري بردي[4]، وفي حين ورد الخبر مقتضباً لدى المقريزي، فقد جاء مفصلاً لدى ابن حجر، وسار ابن تغري بردي على منواله، آخذاً عنه، ومضيفاً إليه.

فقد ذكر ابن حجر أن الأمير أقطوه -الذي كان وجهه الأشرف برسباي رسولاً إلى شاه رخ في سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م- وصل البلاد ومعه رسول من الأخير يحمل رسالة إلى الأشرف[5] الذي اجتمع به أولاً يوم وصوله إلى القاهرة يوم (الثلاثاء سابع عشري، جمادى الآخرة أو في شهر رجب).

ومع أن المصادر لم تشر إلى مادار في هذا اللقاء، لكن من الواضح أنه كان محاولة من برسباي لاستطلاع الموقف من خلال انطباعات موفده أقطوه، أما رسول شاه رخ: الشيخ صفا -حامل هذه الرسالة-، ومرافقوه الذين وصلوا في اليوم التالي لوصول اقطوه المشار اليه، فقد أُسكنوا في القاهرة (وأخذ منهم الكتاب) على حد تعبير ابن حجر مما يفيد أنهم لم يقابلوا السلطان في هذه المرة. وقد تركز كتاب شاه رخ على جملة أمور هي:

١- انكار ما يصنع بمكة من أخذ المكوس.

٢- التحذير من أمر اسكندر بن قرا يوسف من أمراء قراقوينلو.

٣- طلب الأذن له (في دخول هذه البلاد)، ويبدو أن المقصود بذلك زيارة الأماكن المقدسة.

٤- أن يخطب له بمصر.

٥- أن تضرب السكة باسمه.

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ص:٩٦٩.
(٢) ابن حجر، إنباء، ج٨، ٣٨٢-٣٨٣.
(٣) العيني، عقد الجمان، ص: ٩٦٩.
(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ٢٤٥، ٢٥٦-٢٥٧.
(٥) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٢٨٢-٢٨٣.

أما لغة الكتاب فقد كانت مليئة بعبارات التهديد غير اللائقة، إضافة إلى أن الهدية التي حملها رسل شاه رخ إلى الأشرف برسباي كانت تاجاً، وخلعة بنيابة مصر إيماء إلى أن الأشرف برسباي تابع له.

وحيث أن رسول شاه رخ راسل السلطان أن معه إليه كلاماً يشافهه فيه حسب رواية ابن حجر- فقد احضر يوم السبت أمام السلطان الأشرف وسمع رسالته الشفوية التي يبدو أنها تضمنت عبارات قاسية (فأمر بضربه وضرب من معه ضرباً مبرحاً، وغُمِسَا في ماء البركة ... حتى كادا يهلكان غماً، ثم أمر بإخراجهما فأُعيدا إلى المكان الذي أُنزلا فيه....).

أما ابن تغري بردي -وهو أحد المقربين إلى السلطان الأشرف برسباي- فقد ذكر الأمر بصيغة مختلفة نسبيا عما أورده ابن حجر حيث أشار إلى ان الأشرف برسباي أحضر (الشيخ صفا، رسول شاه رخ، بين يديه بمن معه من قُصّاد شاه رخ، وقريء كتابه، فإذا هو يتضمن أنه يأمر السلطان أن يخطب له، ويضرب السكة باسمه.

ثم أخرج الشيخ صفا خلعة السلطان بنيابة مصر، ومعها تاج ليلبسه السلطان، وخاطب السلطان بكلام لم يسع معه صبراً وعندما رأى الخلعة أمر بها فمزقت تمزيقاً، وأمر بالشيخ صفا المذكور فضرب ضرباً مبرحاً خارجاً عن الحد، ثم أقيم بعد ذلك وأمر به فسحب به إلى بركة ماء بالأسطبل فألقى فيها منكوساً وغمس فيها غير مرة ، حتى أشرف على الهلاك...).

ثم طلب السلطان الشيخ صفا وحدثه بكلام طويل محصوله : (إنك تتوجه إلى شاه رخ وتذكر له ما حل بك من الإخراق والبهدلة والعذاب، (؟)، وأنه قد ولاني بنيابة مصر إلا أنا فلا أرتضيه شحنة لي على أقل أعمالي، وإن كان له قوة فهو يظهر ذلك بعد هذا الإخراق، بل ويمشي على أعمالنا، وإن لم يأتِ في العام القابل، فكل ما يأتي منه بعد ذلك فهو من المهملات، ويظهر عجزه، وضعف حالته...).

وقد عقب ابن تغري بردي على رد فعل الأشرف برسباي تجاه كتاب شاه رخ هذا بقوله: (ولقد لازمت الملك الأشرف كثيراً من أوائل سلطنته إلى هذا اليوم لم أره غضب قبلها مثلها).

ويفهم من تعليق آخر لابن تغري بردي أن الأشرف برسباي في ردّ فعله هذا خالف آراء (جميع أمرائه وارباب دولته لأن الجميع أشاروا عليه بالمحاسنة) أي باتباع أسلوب دبلوماسي تجاه الأزمة مع شاه رخ.

يستنتج من دراسة مضامين هذه الرسائل وردود فعل السلطان الأشرف برسباي عليها أنه:

أ- قابل طروحات شاه رخ المشار اليها آنفاً -وبقدر تعلق الأمر برسائله الأربعة الأولى- بمرونة عالية مع محاولة امتصاص ما يمكن من أسباب التوتر، دون التفريط في أية مسالة تخص السيادة المملوكية على الأراضي المقدسة، ومن هنا فقد استجاب إلى طلبات شاه رخ فيما يخص الهدايا التي طلبها، وقابل هداياه بهدايا مناسبة، ولكنه لم يوافق على طلب شاه رخ بكسوة الكعبة، وإن كان رده هذا جاء بشكل هادىء ومبرز بحجة أنه لو سمح به فقد يجر ذلك لاتخاذه عادة من قبل ملوك وسلاطين آخرين.

ب- على الرغم من أن رسالة شاه رخ الثالثة التي أرسل بها سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م تضمنت مساساً بالسيادة المملوكية لا يقتصر على طلب كسوة الكعبة، بل أنها خاطبت برسباي باعتباره أميراً ولم تخاطبه باعتباره سلطاناً، وعلى الرغم من أن الأشرف برسباي أرسل إليه رداً رافضاً طروحاته هذه، فإن الجانبين لم يكونا في وضع يسمح بدفع الأمور نحو مزيد من حالة التأزم هذه فقد كان شاه رخ منشغلاً بمحاربة إمارة قرا قوينلو (الخروف الأسود[١]).

---

(١) حول ذلك انظر المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٨٢٣، ٨٣٧؛ ابن حجر، إنباء ج٨، ص: ١٩٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ١٧٢، ١٨٠-١٨١.

أما الأشرف برسباي فقد كان هو الآخر منشغلاً بمحاربة إمارة آق قوينلو (الخروف الأبيض) من جهة[1]، ومحاربة الأحباش والفرنجه من جهة أخرى[2].

ولعل هذا مامهد إلى استمرار المراسلات بين الطرفين حيث جاءت رسالة شاه رخ الرابعة رسالة أقرب للود منها إلى العداء، وكان جواب الأشرف برسباي متسماً كذلك بكثير من التعقل والحكمة.

ج- لقد جاءت رسالة شاه رخ الخامسة سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م عنيفة في أسلوبها، مركزة في مضمونها على النيل من السيادة المملوكية، وجاء رد فعل الأشرف برسباي خلافاً لما درج عليه قبل ذلك في علاقاته مع شاه رخ، بحكم توفر ظروف موضوعية جديدة كان لابد أن تؤدي بذلك الجهد الدبلوماسي الذي استمر أحد عشر عاماً (٨٢٨هـ- ٨٣٩هـ/ ١٤٢٤-١٤٣٥م) وتمت المحافظة جراءه على قدر من التوازن أن يصل إلى حافة الحرب، وهو ما يمكن ملاحظته من عبارات برسباي الموجهة إلى الشيخ صفا؛ رسول شاه رخ، وهو ما يفهم كذلك من الإجراءات التي اتخذها برسباي بعيد ذلك حيث (كاتب ابن عثمان أن يكون عوناً له على شاه رخ، وجهز المراسيم إلى بلاد الشام بتجهيز الإقامات وكتب إلى جميع المدن الكبار بتجهيز العساكر واستخدام جند من كل بلد).

لقد استعد الطرفان للقتال وكانت الحرب وشيكة الوقوع غير أن وفاة الأشرف برسباي سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م، نقلت هذه المشكلة المتأزمة إلى السلطان الذي أعقب الأشرف برسباي ليتعامل معها، وهو الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م).

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ١٧٢، ١٧٨، الصيرفي، نزهة، ج٣، ص: ١٨٤-١٩٣.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٨٣٨-٨٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص١٨٢-١٨٣.

المبحث الثاني

سياسة الأشرف برسباي تجاه

إمارة آق قوينلو (الخروف الأبيض)

كانت إمارة آق قونيلو- كغيرها من الإمارات التركمانية- تمثل تحالفاً قبلياً، اتخذ هذا التحالف مدينة ديار بكر مركزاً لتجمعه ثم توسعه حيثما استطاع في المناطق المجاورة[1]. وقد تمكن مؤسس هذه الإمارة عثمان قرايلك (٧٨٠-٨٣٩هـ/١٣٧٨-١٤٣٥م) أن يتوسع على حساب الإمارات الأخرى المجاورة له؛ وهي إمارة قرا قونيلو، وإمارة آق قونيلو، وإمارة ذلغادر، وإمارة القاضي برهان الدين في سيواس، والإمارة الارتقية[2]. ويبدو أن علاقات عثمان قرايلك العدائية بجيرانه دفعت به إلى التعاون مع تيمورلنك عند غزوه لآسيا الصغرى[3]، بل أنه وقف إلى جانبه ضد إحدى الإمارات التركمانية، وهي إمارة بني عثمان سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م، مما دعا تيمورلنك إلى الاعتراف به حاكماً على ديار بكر[4].

إن نظرة إلى تحركات هذه الإمارة خلال العقود الثلاثة التي سبقت عصر الأشرف برسباي (٨٠١-٨٢٥هـ/١٣٩٨-١٤٢٢م) تشير إلى أن قرايلك شكل خطراً كبيراً على دولة المماليك الجراكسة بسبب:

١- تحالفه، ثم خلفه مع التيموريين أعداء المماليك.

---

(١) بوزورث،الأسرات، ص: ٢٢٤-٢٢٥، بارتلد شبولر، المغول في التاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، طلاس للدراسات والنشر، ط١، دمشق، ١٩٨٩، ص:١٤٧، ويشار إليه فيما بعد شبولر، المغول في التاريخ؛ هيوار، آق قوينلو، دائرة المعارف الإسلامية، م٢، ص: ٤٨٢-٤٨٣، ويشار إليه فيما بعد هيوار، آق قوينلو.

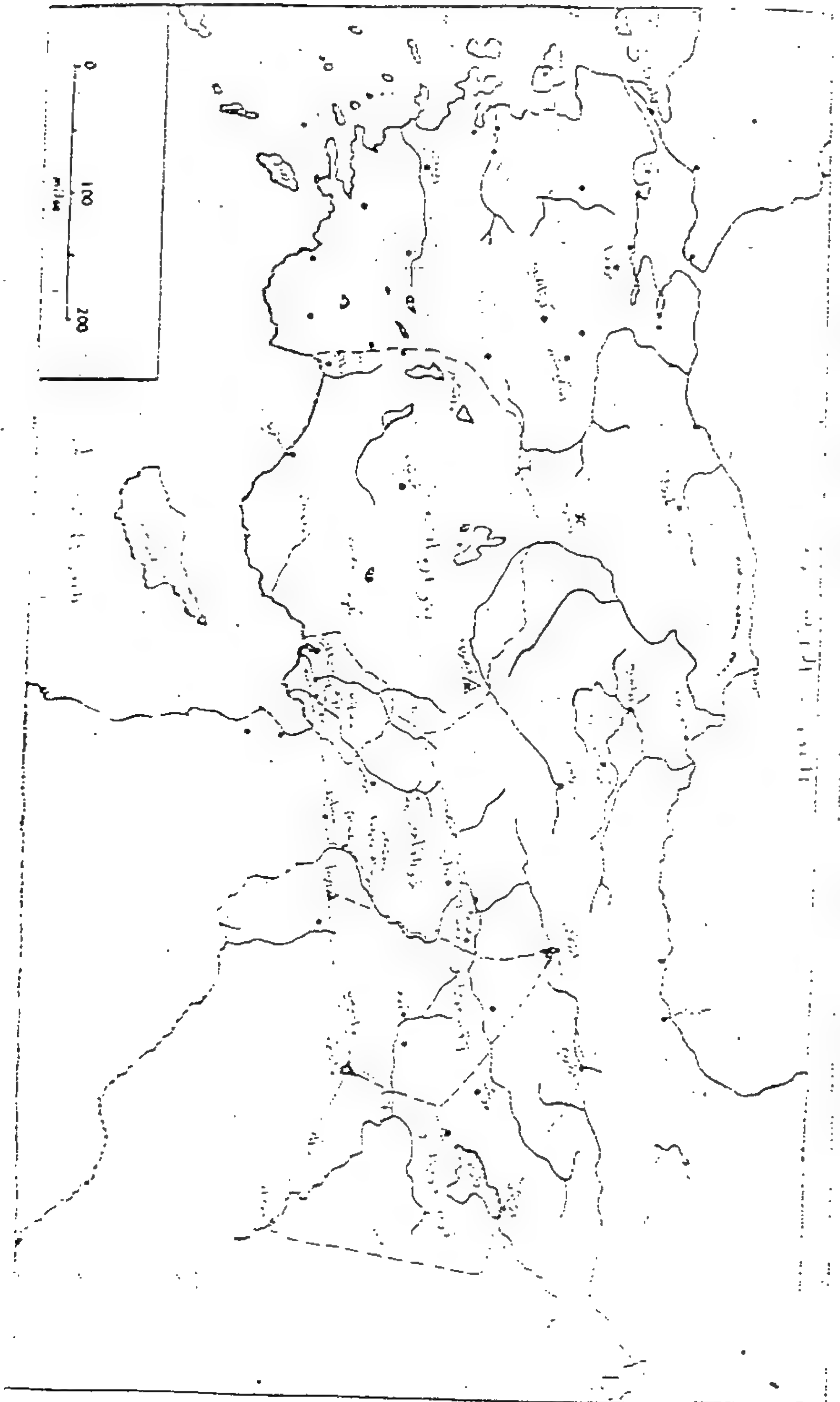
(٢) المقريزي،السلوك، ج٣، ص٩٠٦؛ ابن حجر، إنباء، ج٦، ص ٢٣١، ج٧، ص ٣٨٦-٣٨٨؛ ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص ٧١٢، ٧٢٤، ٧٩٣، هيوار، آق قوينلو، ص ٤٨٢ .

(٣) المقريزي،السلوك، ج٣، ص٩٠٦؛ هيوار، آق قوينلو، ص ٤٨٢ .

(٤) بوزورث،الأسرات، ص ٢٢٥ .

خارطة رقم (١) توضح الحدود التقريبية لإمارة اق قوينلو

الحسو، الزهيري، العلاقات السياسية بين المماليك الجراكسة وإمارة بني قرمان، مجلة الدراسات التركية، جامعة الموصل، ويشار إليه فيما بعد: الحسو، الزهيري، العلاقات.



٢- محاولاته العديدة للتوسع على حساب الإمارات التركمانية الأخرى، وبخاصة إمارة قرا قونيلو، وإمارة القاضي بسيواس، والإمارة الأرتقية، مما اعتبره المماليك اعتداء على امارات خاضعة لهم.

٣- تغلغله بقواته العسكرية في الأراضي المملوكية....

لم يحاول المماليك منذ عهد الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/١٣٨٢-١٣٩٨م)؛ مؤسس دولة المماليك الجراكسة، أن يدخلوا في صدام عسكري مع عثمان قرايللك، بل حاولوا كسبه، حتى أن الظاهر برقوق أرسل خمسين الف درهم من متحصلات مدينة حلب في محاولات لكسبه إلي جانبه، كما أن عثمان قرايلك- هو الأخر- حاول أن تكون علاقته بالمماليك جيدة، ويبدو أن الطرفين كانا بحاجة إلى اتباع هذا النهج، فقد حرص المماليك على اتباع سياسة تجعله قريباً منهم بالقدر الذي يبعده عنه حليفه تيمورلنك، كما أن عثمان قرايلك، أراد أن يكسب المماليك لعلهم يسكتون عنه إذا ما توسع على حساب الامارات التركمانية الأخرى وهذا ما حصل فعلاً حيث سمحوا له بالدخول إلى أراضيهم سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، دون أن يعبأوا بأنهم كانوا آنذاك يساعدونه، وهو يلاحق أحد حلفائهم؛ وهو قرا يوسف وحاكم إمارة قراقونيلو التركمانية[1].

ذلك ما كانت عليه العلاقات بين هذه الإمارة ودولة المماليك الجراكسة عند وصول الأشرف برسباي للسلطنة سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م.

لم يطرأ في عهد الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)، ما يستدعي تغييراً في هذه العلاقات بين سنتي ٨٢٥هـ/١٤٢٢م- ٨٣٢هـ/١٤٢٩م بيد أن قيام إمارة آق قوينلو بالهجوم على الأراضي المملوكية سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٩م، دفع بالأمور نحو التأزم، فقد أغار عثمان قرايلك (على الرها فنازلها وأخذ قلعة خرت برت وسلمها لولده) هابيل[2].

(١) ابن حجر، إنباء، ج٧، ص:٣١٤-٣١٨، ٣٢٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص:١٧٤، وهابيل هو ابن عثمان قرايلك خرج عن الطاعة السلطانية، وأسر وسجن بالقاهرة، وظل في سجنه حتى توفي. انظر المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٤٤٨؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ١٨. وخرت برت بالفتح ثم بالسكون وفتح التاء المثناة =

نظر المماليك إلى هذا التحرك على أنه خروج على الأسس التي تحكم سياستهم تجاه الامارات التركمانية، فقد عكس اعتداء على أراض ومدن مملوكية، لذا فإن الأشرف برسباي لم يتردد في اتخاذ إجراءات عسكرية لمواجهة الوضع الجديد، وهو ما انعكس في حملتين عسكريتين وجهت الأولى منهما سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م، ووجهت الثانية -وهي المعروفة بحملة آمد- سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م.

- الحملة الأولى سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م :

وجه الأشرف برسباي أوامره إلى الأمراء المماليك في مصر أن يهيئوا المستلزمات لارسال حملة عسكرية لمواجهة عثمان قرايلك ، وطرد قواته من الأراضي المملوكية التي احتلها، ولكي يضمن نجاح هذه الحملة أرسل بأوامره إلى نواب الممالك الشامية، لكي يعدوا قواتهم العسكرية اسناداً للقوات المتوجهة من مصر.

أرّخ المقريزي- ضمن يومياته عن سنة ٨٣٢هـ/- ١٤٢٨م لهذه الحملة فقال: (.....فتوجه العسكر-وقد انضم إليه الأمير سودون من عبدالرحمن نائب الشام ، وجميع نواب الممالك الشامية- ومضوا بأجمعهم للرها. فأتاهم بالبيرة كتاب أهل الرها بطلب الأمان. وقد رغبوا في الطاعة، فأمنوهم وكتبوا لهم به كتاباً، وساروا من البيرة، وبين ايديهم مائتا فارس، من عرب الطاعة كشافة، فوصلت الكشافة إلى الرها في تاسع شوال، فإذا الأمير هابيل قد وصل إليها من قبل أبيه عثمان بن طور علي، المعروف بقرايلك؛ صاحب آمد وحصّنها... زحف العسكر واخذوا المدينة في لحظة... ونزل هابيل بن قرايلك، وتسلمه الأمير اركماس الدوادار[1].....).

= وباء موحدة مكسورة وراء ساكنة وتاء مثناة وهو اسم أرمني وهو الحصن المعروف بحصن زياد. الحموي، معجم، ج٢، ص ٣٥٥.

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٨٠٦-٨٠٨.

لقد حققت هذه الحملة أهدافها، واستعادت العساكر المملوكية التي خرجت من القاهرة مدينة الرها، أما حاكمها المعيّن من قبل أبيه عثمان قرايلك، وهو هابيل بن قرايلك، فقد تم أسره وأرسل مقيداً إلى سجن القلعة بالقاهرة[1].

وقد وردت أخبار هذه الحملة بهذا المضمون لدى كل من ابن حجر العسقلاني[2]، وابن شاهين[3]، وابن تغري بردي[4].

- الحملة الثانية (حملة آمد) سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م :

جاء رد فعل عثمان قرايلك على نجاح المماليك في استرجاع (الرها)، وأسر ابنه فيها، ثم إرساله مقيداً إلى القاهرة، رداً عنيفاً، فقد هاجم سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م مدناً مملوكية أخرى، ابتداءً بمدينة ملطية وماردين حيث استمر (يعيث وينهب) حتى وصل مدينة عينتاب[5].

وقد أدى هذا إلى اتخاذ الأشرف برسباي قراراً بتوجيه حملة كبيرة قادرة على مواجهة عثمان قرايلك، استكملت استعداداتها سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م، بيد أن قاصداً وصل من أميرها عثمان قرايلك، وصحبته مفاتيح إحدى القلاع المهمة (قلعة ماردين) إشعاراً له برغبته نحو إقامة صلح بين الطرفين مما دفع الأشرف برسباي إلى التريث في إرسال الحملة[6].

ويبدو أن خطوات عثمان هذه كانت محاولة لتخفيف الضغط عليه، وليتمكن من تمكين نفسه بالاستيلاء على مواقع مملوكية أخرى حيث قام بمواصلة أعماله التخريبية في الأراضي المملوكية وهذا ما دعا الأشرف برسباي إلى الإسراع بإرسال الحملة التي كان هو على رأسها وهي التي عُرفت بحملة آمد.

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٨١.

(٢) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص ١٧٣-١٧٤.

(٣) ابن شاهين، زبدة، ص ١٢٧.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ١٦٤-١٦٨، المنهل، ج٣، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٥) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص ١٩٥.

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص ٢٥٤.

توجهت الحملة نحو بلاد الشام سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م التي كان فيها إلى جانب السلطان الأشرف برسباي عدد من كبار قضاة مصر ومؤرخيها، كابن حجر العسقلاني والبدر محمود العيني، رغبة في رفع معنويات الجيش.

(فوجدوها خالية، واستمر (أي السلطان) إلى آمد فنازلها العسكر أول يوم وقتل من الفريقين جماعة ... وهي في غاية الحصانة، فلم يقدر عليها، فنصب عليها منجنيقاً أقام في عمله مدة) ثم لما علم برسباي بأن قرايلك يقيم خارج القلعة في جبل قرب آمد، توجه ببعض العسكر إليه، ودخلوا معه في مناوشات. أما آمد فقد ظلت محاصرة، بينما سيطر العسكر على البلاد التي حولها، واستمر الحصار خمسة وثلاثين يوماً مما اضطر المماليك إلى فتح باب الصلح. وتم إرسال الرسائل بين الطرفين فاستقر الأمر على الصلح وفق الشروط التالية:

١- أن يخطب قرايلك للسلطان الأشرف برسباي ببلاده.

٢- أن لا يتعرض لأحد من جهة السلطان.

٣- أن لا يتعرض لأحد من معاملات بلاده.

٤- أن لا يمكن أحداً من جهته بقطع طريق التجار ولا القوافل.

وقد أمر السلطان الأشرف برسباي القاضي شرف الدين سبط بن العجمي؛ كبير موقعي الدست أن يتوجه إلى قرايلك لتحليفه على الوفاء بهذا العهد فحلفه ورجع.

كان من نتائج هذه الحملة عودة الرها إلى المماليك، حيث قام السلطان بتعيين نائب عنه فيها، وأبقى معه مائتي مملوك لحفظها[1].

لم تشهد العلاقات القراقوينلية المملوكية في أعقاب حملة آمد تأزماً جديداً، وإن كانت قد ظلت في جوهرها أقرب إلى العداء منها إلى غيره، وذلك أن الصلح المشار إليه، لم ينجم عنه نصر أحد الطرفين، بل جاء نتيجة استمرار الحصار على مدينة آمد، وعدم القدرة على حسم الأمر من هذه الجهة أو تلك، غير

---

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص ٢٨١.

أن وفاة عثمان قرايلك سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م[1]، خفف من احتمالات التصادم حيث وصل موفد من أسرة عثمان قرايلك إلى القاهرة ملتزماً بائتمار الإمارة وطاعتها للسلطان الأشرف برسباي[2].

أما موقف الأشرف برسباي تجاه هذا التطور في سياسة الإمارة، فلم يمنعه من أن يظل حذراً، لذا فقد أرسل قوات مملوكية سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م إلى مدينة (أرضروم) التي كانت قاعدة ليعقوب بك بن قرايلك الذي تولى شؤون الإمارة بعد أبيه.

بوصول أخبار التحرك العسكري المملوكي، بادر الأمير يعقوب بإرسال وفد كبير كان على رأسه زوجته وولده، وقضاة البلد، بأنه يبذل الطاعة للمماليك، وقد قدم الوفد لقادة العسكر المملوكي دراهم كانوا قد قاموا بضربها باسم السلطان الأشرف برسباي للدلالة على صدق توجههم الجديد، بل إن يعقوب استقبل العسكر المشار إليه في مدينته التي زينها لاستقبالهم وأقام لهم الضيافات اللازمة[3].

على هذه الصورة استقرت العلاقة بين المماليك في عهد الأشرف برسباي وبين إمارة آق قوينلو، فقد اعترف الأشرف برسباي بالأمير يعقوب نائباً عنه فيما بيده من البلاد .

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص ٣٤١-٣٤٢، وانظر كذلك ص ٣٧٣ ، وكذلك ترجمة عثمان قرايلك لدى السخاوي،الضوء، ج٢ ص ١٣٥.

(٢) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص ٤٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٩، ص ١٣، ١٤.

الفصل الثالث

المبحث الأول :

سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة قرا قوينلو (الخروف الأسود)

المبحث الثاني :

سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة بني قرمان

المبحث الثالث :

سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة ذلغادر

المبحث الرابع :

سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة بني رمضان

المبحث الخامس :

سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة بني عثمان

المبحث الأول

سياسة الأشرف برسباي تجاه

إمارة قرا قوينلو (الخروف الأسود)

تمثل إمارة قرا قوينلو (الخروف الأسود) تحالفاً قبلياً تزعمته أسرة يبدو أنها تنتمي إلى عشيرة (إيوا الغُزّية)، وقد تحرك هذا التحالف بفعل الغزو المغولي شرقاً، واستقر شمال بحيرة وان، ثم توسع باتجاه أذربيجان والأجزاء الشرقية لآسيا الصغرى بزعامة قرا محمد تورمش ، وذلك في حدود سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م[1].

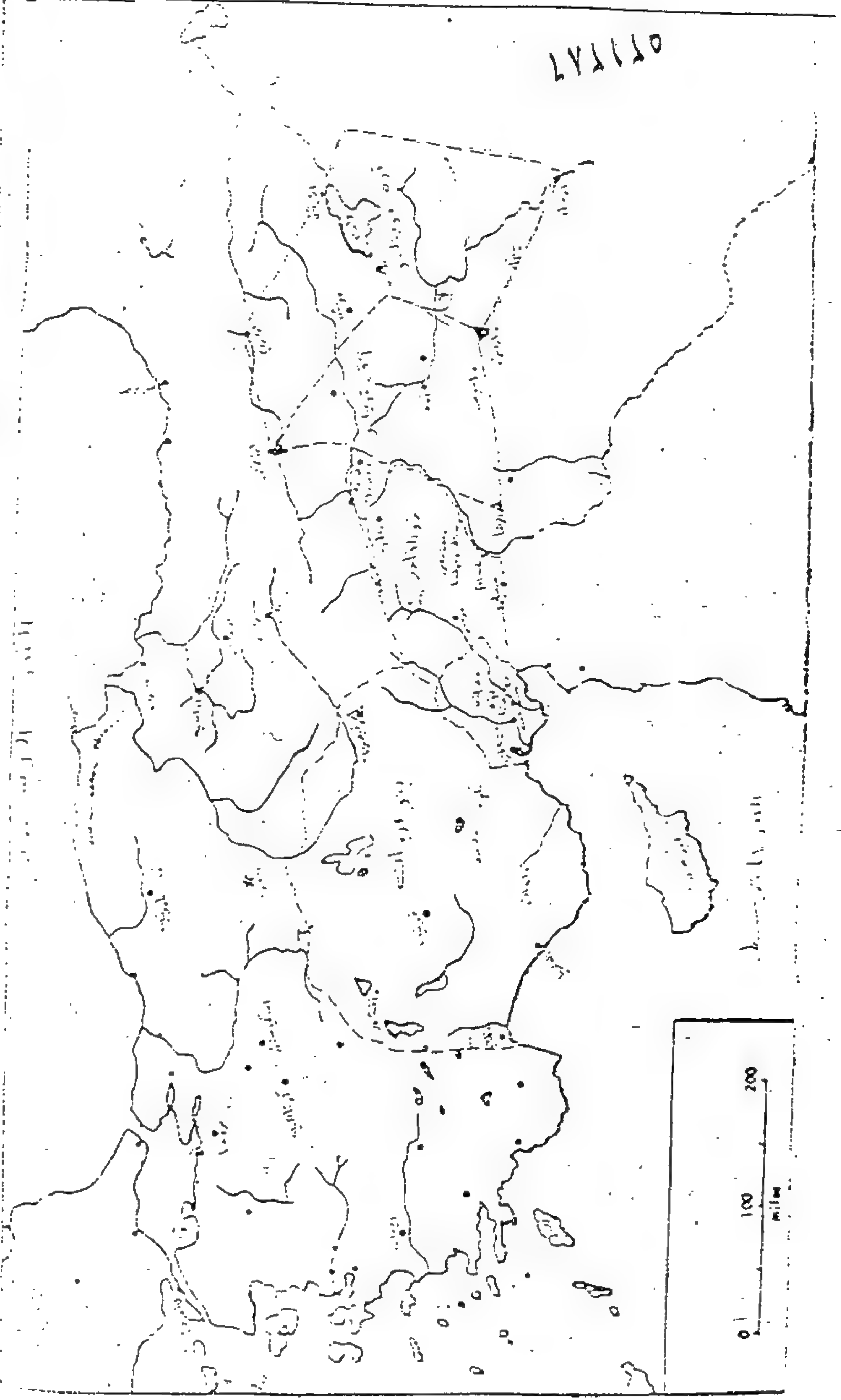
وقد دخلت هذه الإمارة في مواجهة عسكرية مع الدولة الجلائرية في سنة ٨١٣هـ/١٤١١م مما مكنها من اسقاطها والاستيلاء على أراضيها في كل من بلاد فارس والعراق[2]، إضافة إلى ما كان تحت هيمنتها من بلاد مما أشير إليه آنفاً. وبحكم مجاورة الإمارة لكل من التيموريين الذين حكموا بلاد ما وراء النهر، وجانباً من بلاد فارس (٧٧١-٩١٢هـ/ ١٣٧٠-١٥٠٦م)؛ وإمارة آق قوينلو التي حكمت في ديار بكر وشرقي آسيا الصغرى وأذربيجان (٧٨٠-٩١٤هـ/ ١٣٧٨-١٥٠٨م)، فقد عاشت الإمارة صراعاً مريراً، حيث هاجمها التيموريون أكثر

(١) بوزورث، الأسرات، ص: ٢٣٢-٢٣٣؛ علي شاكر، "الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض ٨١٤-٩١٤هـ/١٤١١-١٥٠٨م"، موسوعة الموصل الحضارية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، م٢، ص: ٢٦٣-٢٦٤. ويشار إليه فيما بعد، علي شاكر، الموصل.

(٢) علي شاكر، الموصل، ص: ٢٦٤، أحمد عبدالله الحسو « الواقع الحضاري في الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود الخروف الأبيض ٨١٤-٨١٤هـ/١٤١١-١٥٠٨م)، موسوعة الموصل الحضارية، م٢، ص: ٢٧٢. ويشار إليه فيما بعد: الحسو، الواقع الحضاري.

خارطة رقم (٢) توضح الحدود التقريبية لإمارة قراقوينلو التركمانية

الحسو، الزهيري، العلاقات



من مرة واجتاحوا أراضيها[1]، وقد حصل ذات الشيء من قبل إمارة آق قوينلو التي دخلت في حروب عديدة معها ثم تمكنت من إسقاطها واحتلال أراضيها سنة ٨٧٢هـ/ ١٣٨٠م[2].

في ضوء هذه الأوضاع المحيطة بإمارة قراقوينلو، كان طبيعياً أن تتجه بأنظارها إلى دولة المماليك الجراكسة، متخذة منها ظهيراً يسندها أمام القوتين المشار إليهما. كما أن المماليك هم الآخرون لم يكونوا على علاقات جيدة مع القوتين المشار إليهما أيضاً حيث تعرضت بلادهم إلى غزوات عدة قام بها تيمورلنك (٧٧١-٨٠٧هـ/ ١٣٧٠-١٤٠٥م) إضافة إلى محاولات ابنه شاه رخ (٨٠٧-٨٥٧هـ/ ١٤٠٤-١٤٥٣م)، لفرض هيمنته عليها[3]، أما إمارة آق قوينلو التي كانت متحالفة مع التيموريين، فقد شكلت عنصر تهديد للمماليك بحكم هذا التحالف، وجراء محاولتها التوسع على حساب الأراضي المملوكية[4]، لذا فقد كان طبيعياً أن يرحبوا بكل ما يقوي علاقاتهم بإمارة قرا قوينلو، التي كانت بمثابة دولة حاجزة (Buffer state) بينهم وبين التيموريين وحلفائهم في المنطقة.

ويلاحظ أن الإمارة كانت مدركة منذ سني حكمها الأولى لأهمية إقامة هذا النوع من العلاقة بينها وبين المماليك، فما أن تمكن قرا محمد من السيطرة على مدينة تبريز سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م حتى (خطب فيها باسم السلطان الظاهر برقوق وكتب السكة باسمه، وارسل الدراهم إليه بذلك)[5]، وقد عقب ابن حجر

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ص: ٩٠٦، شاكر علي، الموصل، ص: ٢٦٤.

(٢) ابن حجر، إنباء، ج٦، ص:٢٣١؛ الصيرفي، نزهة، ج٢، ص: ٤٢٣-٤٢٤، الحسو، الواقع الحضاري، ص: ٢٧٢..

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ص: ٩٠٦، ابن حجر، إنباء، ج٦، ص: ٢٣١، الصيرفي، نزهة، ج٢، ص: ٤٢٣-٤٢٤، ابن اياس، بدائع، ج١، ص:٢، ص: ٧٢١-٧٢٤، ٧٩٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ص: ٩٠٦، ابن حجر، إنباء، ج٧، ص: ٢٧٦-٢٨٨، الصيرفي، نزهة، ج٢، ص: ٤٢٣-٤٢٤، ابن اياس، بدائع، ج١، ق:٢، ص: ٧١٢-٧٢٤، ٧٩٣.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ص: ٥٨٥، ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص: ٢١٠ .

على هذا بقوله: « ففرح السلطان بذلك وكتب له أجوبته بالشكر[1]». كما أن قرا يوسف الذي تمكن- هو الآخر- من السيطرة على مدينة تبريز سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م ، قام بضرب السكة باسم السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٨م). وذكر اسمه في الخطبة وأرسل له مفاتيح مدينة تبريز اشعاراً له بتبعيته له، ورغبة في الحصول على الشرعية في حكم البلاد التي اصبحت في حوزته، ولذا فقد قام الظاهر بإرسال (تشريف) له، بما يعني اعتراف السلطنة المملوكية به نائباً عن السلطان[2].

استمرت العلاقات طبيعية بين المماليك وإمارة قراقوينلو خلال الحقبة السابقة لعهد الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) على الرغم مما أصابها في بعض السنوات من توتر انتهى في جميع الحالات إلى العودة إلى الوضع الطبيعي ويمكن حصر ذلك بثلاث محاولات:

١- رفض المماليك استقبال قرا يوسف وحليفه السلطان أحمد الجلائري سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٥م عندما هربا من وجه تيمورلنك ودخلا بلاد الشام قائلين في كتابين لهما: (أنا لم نجيء محاربين، وأنما جئنا مستجيرين، مستنجدين بسلطان مصر) إلا أن الناصر فرج لم يلتفت إلى ذلك وكتب إلى نائب الشام بمسيره بعسكر الشام وقتال ابن اويس وقرا يوسف[3]...

٢- دخول قرا يوسف الأراضي المملوكية في المناطق القريبة من مدينة حلب، بدون إذن من الدولة سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م واعتذاره عن ذلك حيث أنه اضطر إلى ملاحقة غريمه عثمان قرا يلوك صاحب إمارة آق قوينلو[4].

٣- قيام المماليك بالسماح لعثمان قرايلك المشار إليه بالدخول إلى الأراضي المملوكية في إطار محاربته لقرا يوسف، مما اعتبره الأخير أمراً غير مقبول من حلفائه المماليك، لذا فقد أرسل قاصداً يعتب عليهم تصرفهم هذا.

(١) ابن حجر، إنباء، ج٢، ص: ٢٥٩-٢٦٠، ٢٨٤.
(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ص: ٧٦٣، ابن سباط، تاريخ ص٢، ص٧٤٤.
(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص:١٧٣-١٧٤.
(٤) حول ذلك انظر: المقريزي، السلوك، ج٤، ص:٤٥٩-٤٦٠-٤٦١-٤٦٧.

ومن الواضح هنا أن قرا يوسف لم يكن من مصلحته تصعيد التوتر مع المماليك نظراً للمخاطر التي كانت تحيط به، كما كان المماليك هم الآخرون بحاجة إلى عودة الامور إلى مجاريها. ويلاحظ أن تغلغل قرا يوسف وقواته في بلاد الشام حصل إبان تولي الأمير برسباي الدقماقي إمارة طرابلس في عهد السلطان المؤيد الشيخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤/ ١٤٢١-١٤٢٢[١]).

أما في عهد الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١/١٤٢٢-١٤٣٨م)، الذي عاصره من أمراء الإمارة كل من الأمير قرا يوسف (٨٠٩- ٨٢٣هـ/١٤٠٦-١٤٢٠). ثم ابنه اسكندر (٨٢٣-٨٤١هـ/١٤٢٠-١٤٣٨) فقد حرص على استمرار العلاقة مع إمارة قرا قوينلو على الصيغة التي كانت عليها قبله، والواقع أن الإمارة التي دخلت في حروب عديدة بين سنتي ٨٣٢-٨٣٩- مع التيموريين من جهة، ومع إمارة آق قوينلو من جهة ثانية[٢]، إنما كانت تحارب عدوين للأشرف برسباي مما تطلب الحرص المشار إليه. وفي إطار هذه المصالح المشتركة بين الطرفين، استقبل الأشرف برسباي رسل إمارة قرا قوينلو سنة ٨٣٦/١٤٣٣م ثم سنة ٨٣٩هـ ثم سنة ٨٤٠هـ استنجاداً به ضد أعداء الإمارة، أو رغبة في القدوم (إلى الخدمة السلطانية)، أو تأكيداً للسلطان بمساندته ضد عدوه شاه رخ، أو إرسال رأس عدوه عثمان[٣] قرايلك إثر وفاته ٨٣٨هـ/١٤٣٥م.

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٤٥٩، ٤٦٢، ٤٦١.

(٢) ابن حجر، إنباء، ج٧، ص: ٢٦٠-٢٦١، ابن اياس بدائع، ج٢، ص: ٤٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ص: ٨٣٧، ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ١٦-١٧، ابن تغري بردي، النجوم، ج٤، ص: ١٩٨-١٦٩، ٢٥٣-٢٤٥، الصيرفي، نزهة، ج٣ص: ٣٣٦، ٣٣٧.
Daraj, L' Egypte. pp. 271-272.

المبحث الثاني

سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة بني قرمان

القرمانيون من التركمان الغز الذين استقروا في آسيا الصغرى فارين من الضغط المغولي، والذين حظوا باهتمام السلاجقة حيث سكنوا ثغور بلاد الروم، ثم أسسوا دولة لهم سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وحكموا حتى ٨٨٨هـ/١٤٨٣، وكان قرمان بن صوفي أول حكامهم(١).

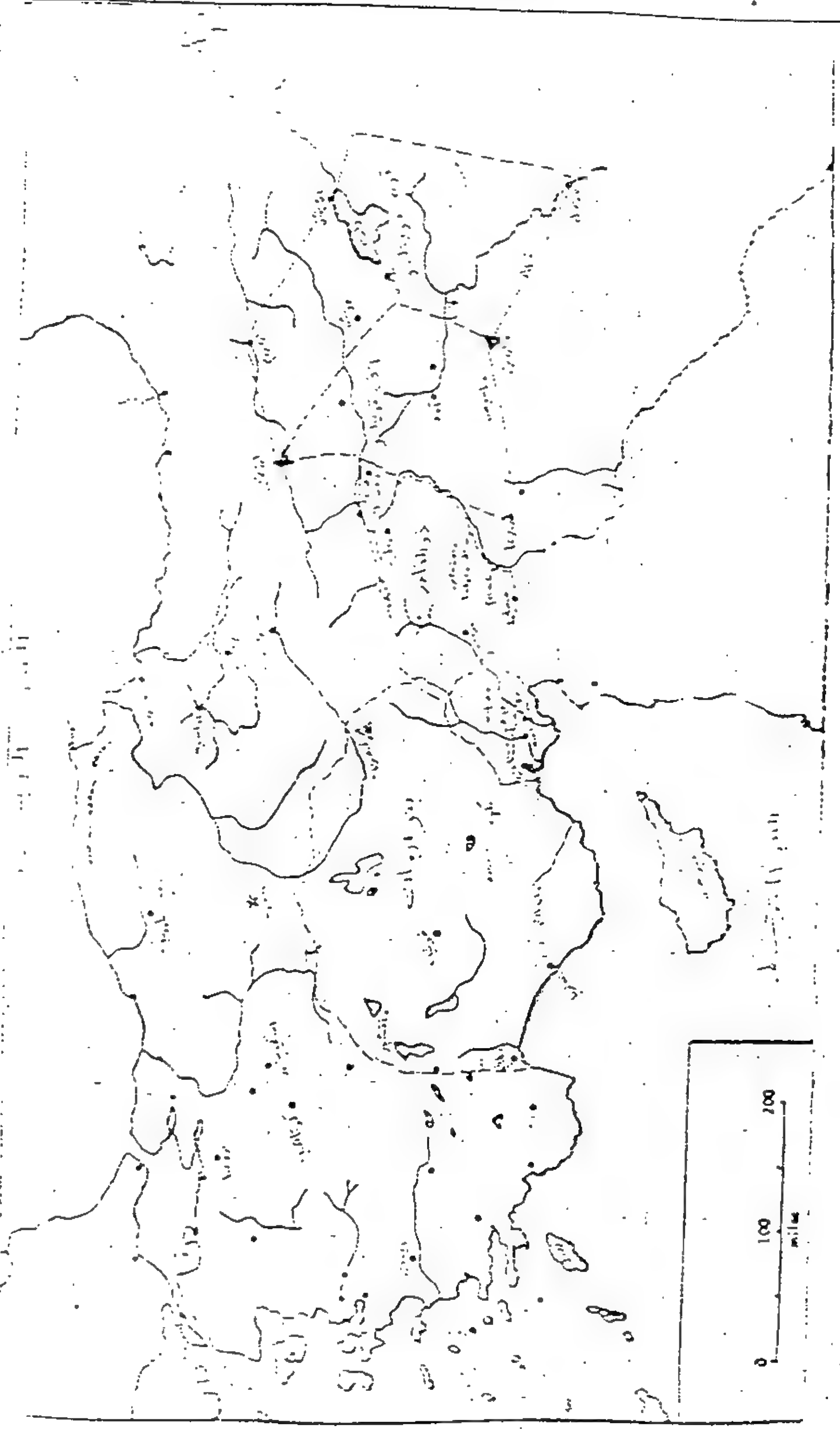
وعند تولي الأشرف برسباي السلطنة سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م كانت إمارة بني قرمان معترفة بتبعيتها لدولة المماليك الجراكسة. وقد جاء هذا الاعتراف- كما أشير إليه سابقاً- في أعقاب محاولة من بعض أمراء البيت القرماني رفض هذه التبعية ، والقيام بأعمال معادية لهم، بتأثير من إمارة بني عثمان التي كانت تحاول في هذه الحقبة أن تتوسع على حساب الإمارات التركمانية الأخرى؛ وبينها إمارة بني قرمان، وهو الأمر الذي تصدى له السلطان المؤيد شيخ المحمودي الذي قاد في سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م حملة عسكرية، ثم أعقبها بحملة ثانية سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م قادها إبنه إبراهيم، أمكن جراءهما إجراء تغيير في الإمارة أزيح بموجبه الأمير الموالي للعثمانيين وهو محمد بن قرمان (٨٠٥-٨٢٤هـ/ ١٤٠٣-١٤٢١م)وعين بدله الأمير الموالي للمماليك وهو علي بن خليل بن قرمان(٢).

---

(١) محمد بن محمود الجلبي الملقب بابن أجا، (ت ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م) العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدوادار، صنعه محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٦، ص:٢٧ ويشار إليه فيما بعد، ابن أجا، العراك؛ القرماني، أخبار، ج٢، ص: ٥١١؛ ستانلي، لين بول، الدول الإسلامية، ٢ج، مع إضافات وتصحيحات بارتولد، وخليل أدهم، نقله من التركية إلى العربية محمد صبحي فرزات واشرف على ترجمته محمد أحمد دهمان، طبع في مطبعة الملاح بدمشق ١٩٧٤م، بحث ٢، ص: ٤٣٥-٤٣٧.ويشار إليه فيما بعد: لين بول، الدول.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص: ١٩٩، ٢٢١، ابن حجر، إنباء، ج٧، ص: ٣٢٢-٣٢٣؛ العيني، عقد الجمان، ص ٣٣، لين بول، الدول، ق٢، ص: ٤٣٧-٤٣٨.

خارطة رقم (٣) توضح الحدود التقريبية لإمارة بني قرمان التركمانية
الحسو، الزهيري، العلاقات



لقد كانت إمارة بني قرمان ذات أهمية بالغة لدولة المماليك، فهي تمتلك موقعاً وسطاً في آسيا الصغرى، ولديها سواحل طويلة على البحر المتوسط، وهو أمر يجعلها قادرة على أن تلعب دور الدولة الحاجزة (Buffer state)، ويمكنها - في حالة بقائها على ولائها للمماليك- أن تحجّم أية إحتمالات معادية لها في آسيا الصغرى، وبخاصة من إمارتي بني عثمان الواقعة غرب الإمارة القرمانية، وإمارة ذلغادر الواقعة شرق الإمارة، ذلك أن هاتين الإمارتين هما أكثر الإمارات المجاورة للإمارة القرمانية طموحاً نحو التوسع.

ولقد حرصت دولة المماليك الجراكسة في عهد الأشرف برسباي على استمرار الصيغة التي إنتهت إليها علاقتها بإمارة بني قرمان في عهد المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١) ثم الظاهر ططر (من ٢٩ شعبان إلى أول ذي الحجة سنة ٨٢٤هـ): أي بالحفاظ على تبعيتها لها، والأفادة منها في الحصول على قدر من التوازن بين الإمارات التركمانية الأخرى في آسيا الصغرى، بما يحافظ على المصالح المملوكية(١).

بدراسة ماتمخضت عنه العلاقات المملوكية القرمانية في عهد الأشرف برسباي، يلاحظ أنها أخذت المسارين التاليين.

١- مراقبة أية محاولات من القوى السياسية المجاورة: و القريبة، لجر إمارة بني قرمان خارج إطار النفوذ المملوكي.

لم تقتصر محاولات إزاحة النفوذ المملوكي عن إمارة بني قرمان، على إمارة بني عثمان ، والذي كان قائما منذ عهد المؤيد شيخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ/١٤٢١-١٤٢١م(٢))، بل جاء كذلك من التيموريين في عهد شاه رخ (٨٠٧-٨٥١هـ/١٤٠٤-١٤٥٢م). ولقد كان لهذا التحرك التيموري خطورته الكبيرة على الدولة المملوكية، حيث أنه كان يهدف إلى تطويق المماليك تمهيداً لشن حرب عليهم عن طريق كسب الإمارات التركمانية في آسيا الصغرى إلى جانبه حيث

---

(١) أنظر ص٢١-٢٢ من هذه الدراسة.

(٢) ابن حجر، إنباء، ج٧، ص: ٢٥٧، ٢٦٣، ٣٢٢-٣٢٣ ، ٣٥٤، ٣٥٦.

أرسل سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٦م رسلاً إلى حكامها- ومنهم إبراهيم بن قرمان مع خلعة لكل منهم بما يتضمن اعتبارهم نواباً عنه في بلادهم[١]. وقد نقل ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٠) انطباع السلطان الأشرف برسباي عن محاولات شاه رخ هذه بقوله: (وقد شق على السلطان برسباي ذلك[٢]).

لم تتحدث المصادر عن أية تطورات في هذا الإتجاه، سواء ما يخص مدى استجابة الإمارات التركمانية لمحاولات شاه رخ أو ما اتخذه الأشرف برسباي من إجراءات، ولعل صمتها ناجم عن أن شيئاً لم ينجم عن المحاولات المشار إليها.

٢- إسناد القرمانيين عسكرياً للحفاظ على إمارتهم من الإعتداءات الخارجية بما يحفظ التوازن بين القوى السياسية التركمانية في آسيا الصغرى.

لقد كان طبيعياً أن تحاول الإمارات التركمانية في آسيا الصغرى، أن تستفيد من أية فرصة للتوسيع، فهي إمارات متباينة في رقعتها الجغرافية، كما أن رعاياها هم من القبائل التركمانية المتنقلة التي تعتمد الرعي إسلوباً لحياتها، ومن هنا فقد كان من أهم أهدافها أن تحصل على مزيد من الأراضي لتأمين حياتها هذه[٣].

وإذا كانت دولة المماليك الجراكسة حريصة على بقاء هذه الإمارات دون أن تتوسع بعضها على حساب بعض، حفاظاً على التوازن السياسي القائم والذي يتلاءم مع مصالحها[٤]، فإن هذا الوضع لم يكن كذلك بالنسبة إلى الإمارات نفسها، إضافة إلى ما أشير إليه من محاولات شاه رخ من أجل زعزعة النفوذ المملوكي فيها، كما أن مما زاد الأمر تعقيداً في عهد الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) ظهور أحد أبرز المعارضين السياسيين له؛ وهو

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٩٥٧، ابن تغري بردي النجوم ، ج١٤، ص: ٢٤٨، الحسو، الزهيري، ص: ٣١.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤: ص: ٢٤٨.

(٣) الحسو، الزهيري، ص:٢

(٤) انظر، ص٢١-٢٢ من هذه الأطروحة .

الأمير جانبك الصوفي[1]، في مدينة توقات[2] التابعة لإمارة بني عثمان أوائل سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٥م، وتمكنه من أن يحظى بإسناد التيموريين من جهة وبعض الإمارات التركمانية من جهة أخرى[3].

وقد أدى هذا الوضع إلى جملة متغيرات على الساحة السياسية في آسيا الصغرى بين سنتي(٨٣٨-٨٤١هـ/١٤٣٥-١٤٣٨م) وهي:

أ- تنافس إمارة بني قرمان في عهد الأمير إبراهيم بن قرمان (٨٢٧-٨٦٨هـ/١٤٢٤-١٤٦٣م) مع إمارة ذي الغادر في عهد الأمير ناصر الدين محمد (٨٠٠-٨٤٦هـ/ ١٣٩٦-١٤٤٣م) من أجل السيطرة على مدينة (قيصرية) القريبة من الحدود المشتركة بينهما سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٥م[4]، وقد اتصل الطرفان بالسلطان الأشرف برسباي للحصول على تخويل منه بحكمها نيابة عنه مقابل التزامات تعهد بها كل من الإمارتين[5].

ومع أن السلطان الأشرف برسباي أمّر الأمير ناصر الدين محمد ابن ذلغادر نائباً عنه في قيصرية[6]، إلا أن الأخير تراجع عن تعهداته له بعد وصوله إليها، مما أغضب الأشرف برسباي ودفع به إلى توجيه أوامره بإرسال قوات عسكرية من بلاد الشام لإخضاعه[7].

ويبدو أن الأمارة القرمانية استفادت من هذا التحول في موقف إمارة

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٥، عن جانبك الصوفي، انظر: ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص٢٢٤-٢٢٩، السخاوي، الضوء، ج٣، ص٥٧.

(٢) توقات: مدينة بآسيا الصغرى، في الجزء الشمالي من كبادوكيا. أنظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ٢٥٠ .

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٩٦١؛ ابن تغري بردي النجوم، ج١٤، ص:٢٥٠؛ الحسو، الزهيري، ص: ٣٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٩٤٥، ٩٤٩، الصيرفي، نزهة، ج٣، ص: ٣١٦، ٣١٧.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٩٤٥، الصيرفي، نزهة، ج٣، ص: ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩؛ الحسو الزهيري، ٣٤.

(٦) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ٢٤٦.

(٧) انظر: المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٩٤٧-٩٤٩، ٩٧٩-٩٨١؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٣٣٩-٣٤٢، ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ٢٤٦-٢٤٧، الصيرفي، نزهة، ج٣، ص: ٣٨٩.

ذلغادر فقامت بمهاجمتها في ٢٣/ صفر من سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٧م وهزمتها واستولت على مدينة (قيصرية)، بل أنها استولت كذلك على مدينة تابعة لإمارة بني عثمان وهي مدينة (أماسية[1]).

ب: ولقد نجم عن هذا التغيير، قيام تحالف معاد لها/ ضم إمارة ذلغادر، وإمارة آق قوينلو، وإمارة بني عثمان.

وقد استفاد هذا التحالف من وجود الأمير المملوكي المنافس للأشرف برسباي وهو جانبك الصوفي المشار إليه آنفا[2]، حيث قدم له إسناده ومكنه في سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٥ من أن يسيطر على عدد من القلاع بينها ما هو عائد إلى الأمارة القرمانية، إضافة إلى أنه سيطر على مدينة (آقشهر) القرمانية[3].

وقد تطور الوضع مع سنة ٨٤٠-٨٤١هـ/١٤٣٧-١٤٣٨م إلى قيام التحالف، وبإسناد ملحوظ من السلطان العثماني مراد (٨٢٤-٨٥٥/١٤٢٤-١٤٥٢م)، بتكثيف الجهود العسكرية لاسترجاع مدينة قيصرية من إمارة بني قرمان، حيث تم إرسال::

١- قوات عسكرية بقيادة الأمير سليمان بن ناصر الدين بن ذلغادر، ومشاركة حاكم مدينة (توقات) العثمانية إضافة إلى قوات الأمير جانبك الصوفي لأحكام الحصار على مدينة قيصرية تمهيداً لإخراج بني قرمان منها[4].

٢- قوات عسكرية بقيادة الأمير القرماني عيسى بن قرمان[5]، وهو معارض لأخيه إبراهيم بن قرمان، كي يقوم بالاغارة على البلاد القرمانية بدعم من السلطان مراد العثماني.

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٩٤٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ٢٥٠.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ١٠٠٩ .

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ١٠٠٤.

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص: ١٠٠٤

شكل هذا الوضع تهديداً للإمارة القرمانية، كما أنه تضمن -في حالة نجاحه في تحقيق أهدافه- إخلالاً بالتوازن بين القوى السياسية التركمانية في أسيا الصغرى، وهو أمر حرص المماليك ألا يحصل[1]، وهذا ما انعكس فيما اتخذه الأشرف برسباي من إجراءات بين سنتي ٨٣٨هـ/١٤٣٥م وحتى سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م؛ فعلى الرغم من العلاقة المتميزة بين المماليك الجراكسة في عهد الأشرف برسباي وبين الإمارة القرمانية، إلا أن ما اتخذه السلطان من إجراءات لم يكن الهدف منه تغليب أمرها على غيرها من الإمارات، فقد كان من الثوابت في السياسة المملوكية عدم السماح لهذه الإمارات بالتوسع على حساب بعضها بعضاً بما لا يشكل خطراً على المصالح المملوكية، ليس إلا، لذا فقد جاء رد فعل الأشرف برسباي على المتغيرات المشار إليها آنفاً ضمن هذا الاتجاه ويلاحظ هذا فيما أشرنا إليه آنفاً من إجراءات عسكرية ضد ناصر الدين ذلغادر سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٥م فقد اقتصرت هذه الإجراءات على استعادة مدينة قيصرية، وإقرار الأمير إبراهيم بن قرمان عليها دون المساس ببقية أملاك إمارة ذلغادر[2].

أما إجراءاته تجاه تحركات التحالف المشار إليه[3] بين هذه الإمارات فقد جاءت أكثر صرامة نظراً للخطورة التي شكلها من جيث إسناده للأمير المملوكي المناهض للأشرف برسباي (جانبك الصوفي) وتمكينه من الاستيلاء على عدد من القلاع والمدن الحيوية[4] أما هذه الإجراءات فهي:

١- أصدر أوامره سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م إلى (أمراء الطاعة)، أي إلى نوابه في عينتاب وملطية وقلعتي كختا وكركر، وجهزهم بالمال والسلاح لغرض مساندة إمارة بني قرمان[5].

---

(١) انظر أعلاه ص٢١-٢٢.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٩٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ٢٤٧.

(٣) انظر ص٤١ أعلاه.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٩٤٨، ٩٥٥، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص: ٢٥٠.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ١٠٠٤، الصيرفي نزهة، ج٣، ص: ٣٧٨؛ الحسو، الزهيري، =

٢- كتب إلى نوابه في بلاد الشام بالمسير بعساكرهم[1].

٣- إلى جانب الإجراءات السابقة، عقد السلطان الأشرف برسباي (مجلس المشورة) لمناقشة ما إذا كان الأمر يتطلب إرسال حملة لمواجهة قوات التحالف المشار إليه وما هو مشاع من أن (ابن عثمان قصد نصرتهم[2]).

ويلاحظ أن قرارات المجلس المشار إليه، تجاه المتغيرات المشار إليها تعكس سياسة حذرة ومتأنية، حيث علق موضوع إرسال الحملة العسكرية المقترحة على ما سيرد من مطالعات من نواب الشام حول الموقف في آسيا الصغرى.

ويبدو أن توجه القوات العسكرية المملوكية التي وجهها الأشرف برسباي من بلاد الشام، وتغلغلها في آسيا الصغرى، فرض على الإمارات المتصارعة أن تتصالح، وهو ما وردت به مطالعات القوات المشار إليها إلى مصر[3].

وعلى الرغم من أن المصادر لم تتحدث عن بنود الصلح إلا أن قبول المماليك بها وسحب قواتهم من آسيا الصغرى في أعقابها، يفيد بأنها تضمنت الحفاظ على قدر من التوازن بين الإمارات يتلاءم مع ما أشير إليه من ثوابت السياسة المملوكية.

= ص: ٣٥.

* كختا: قلعة تقع على نهر كختاهو وتقع غرب ملطية على مسيرة يومين، القلقشندي، صبح، ج٤، ص: ١٢٠.

* كركر: حصن قريب من ملطية تقع كختا غربه، القلقشندي، صبح، ج٤، ص: ١٢٠.

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ١٠٠٩، ١٠١٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤ ص: ٢٦٤-٢٦٥، الصيرفي، نزهة، ج٣، ص: ٢٨٣.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ١٠٠٩، الصيرفي نزهة، ج٣ ص: ٢٨٣.

(٣) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٤٢٩.

ولعل من أبرز ما خفف من شدة الصراع في آسيا الصغرى، تمكن المماليك وبالتعاون مع إمارة بني قرمان من التضييق على الأمير المملوكي المناهض للأشرف برسباي (جانبك الصوفي) حتى أدى الأمر إلى مقتله[1].

(١) ابن حجر، إنباء، ج٩، ص ٤-٥.

المبحث الثالث

سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة ذلغادر

تحت ضغط الهجمات المغولية، هاجرت مجموعة من القبائل التركمانية المتحالفة نحو آسيا الصغرى بزعامة أمير تركماني يدعى قراجا بن ذلغادر، ونجح في أن يسيطر على المناطق المحيطة بمدينتي الأبلستين، ومرعش، ثم ملكها، وأخذ في التوسع، حيث سيطر أولاً بأول على مدن ملطية، وعنتاب، وخربوت، وبهنسا، ودرندة، وغيرها مؤسساً ما عرف بإمارة ذلغادر .

لم تكن سيطرة الإمارة على هذه المواقع والمدن ثابتة فقد كان نفوذها يتقلص أحياناً ويتوسع أخرى[1].

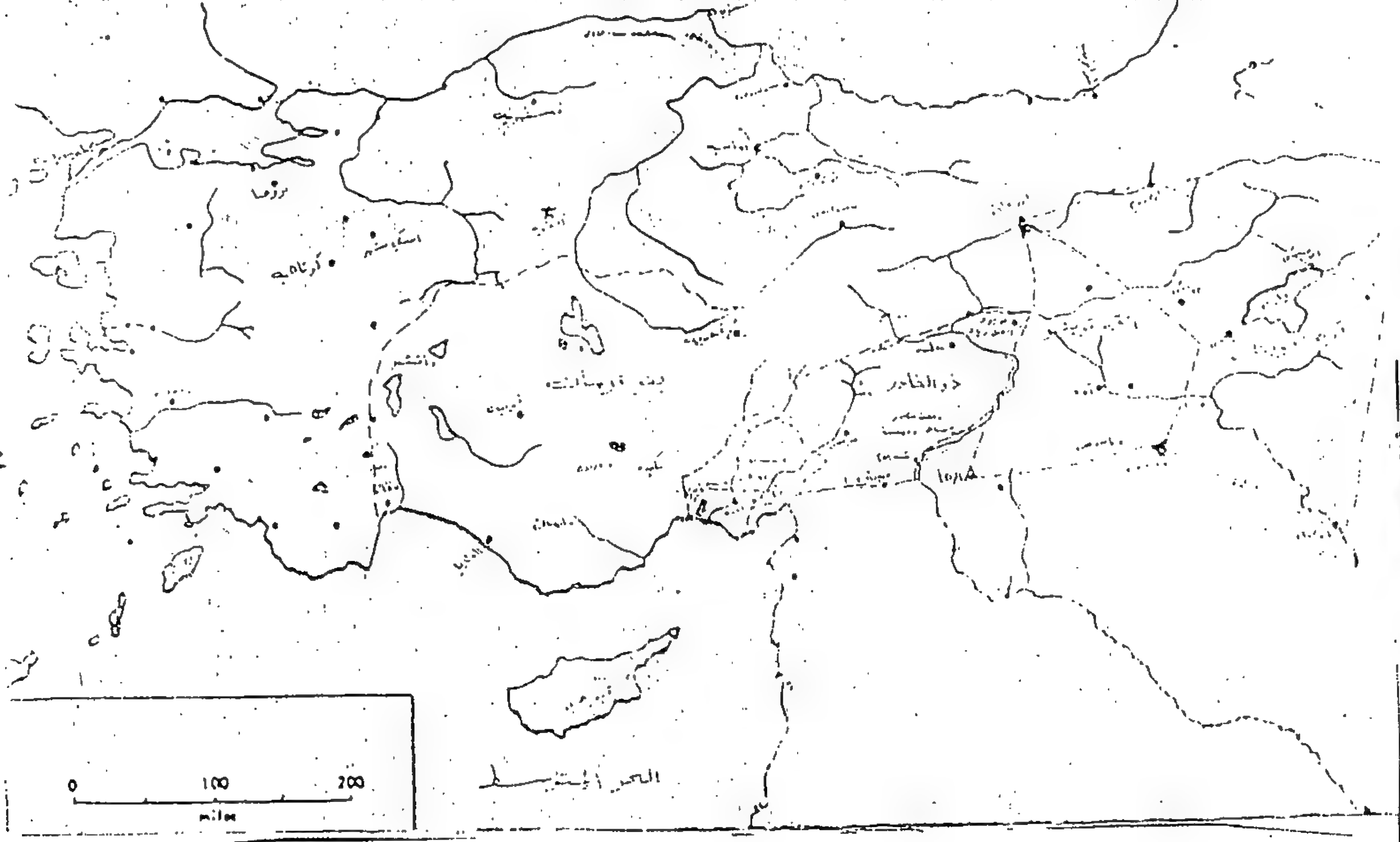
ونظراً لضيق المساحة التي احتلتها الإمارة لم تكن تمتلك منفذاً على البحر، لذا فقد حاولت التوسع على حساب الإمارات الأخرى، تأميناً لأكبر قدر ممكن من الأرض للقبائل المتحالفة في ظلها .

لقد كان سلوكها هذا مدعاة قلق كبير، خلال الحقبة التي سبقت عصر الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) حيث قامت بمحاولات لتوسيع أراضيها، وهو أمر درجت السياسة المملوكية على رفضه في ما يخص هذه الإمارة، أو أياً من الإمارات التركمانية الأخرى، ولما يترتب عليه من تخلخل في موازين القوى السياسية في آسيا الصغرى وتهديد للمصالح المملوكية[2]. فقد قامت الإمارة في عهد خليل بن قراجا بن ذلغادر سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م بأعمال نهب وسلب في المناطق المجاورة لها، ومنها الأراضي المملوكية القريبة من حلب، مما

---

(١) عن هذه الإمارة، انظر القرماني، أخبار، ج٣، ص: ٣٣٩-٣٤٠؛ طرخان، مصر، ص: ١١٧-١١٨، زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ص: ٢٣٥. ويُشار إليه فيما بعد: زامباور، معجم الأنساب.

(٢) انظر: أعلاه ص٢١-٢٢.



خارطة رقم (٤) توضح الحدود التقريبية لإمارة القادر التركمانية
المصدر: الزهيري العلاقات

استدعى الطلب إلى نائب الشام للخروج بعساكره لغرض إخضاعها[1] كما قامت الإمارة في عهد حاكمها سولي بن ذلغادر بالتعرض للأراضي المملوكية في سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م مما جعل السلطان المملوكي الظاهر برقوق يصدر أوامره لنوابه في بلاد الشام للتوجه بعساكرهم لمحاربته، فاصطدموا بقواته ولكنهم لم يحققوا أهدافهم بالسيطرة عليه بل تمكن هو من قتل نائبين من نواب المماليك هما؛ سودون نائب حماه، ووسودون؛ نائب بهنسا[2].

ولم يقتصر سولي على التوسع على حساب المماليك بل تغلغل في أراضي إمارة بني رمضان فاستولى على مدينة (سيس)، ويبدو أنه حاول أن يكسب إسناد السلطان المملوكي المشار إليه في تحركة هذا، فأرسل رسولاً إليه بهدية مع مفاتيح المدينة المشار إليها، لكي يأمر بتسليمها إلى من يشاء[3]، كما يبدو أن خطوة سولي هذه جاءت تمهيداً لتحرك أخر له على حساب إمارة تركمانية أخرى، وهي إمارة القاضي برهان الدين صاحب (سيواس)، التي استولى عليها في ذات الوقت الذي كان رسوله المشار إليه متجهاً إلى القاهرة.

وقد عرفت العقود الثلاثة التالية (٧٩٢-٨٢٥/١٣٨٩-١٤٢٢م)؛ أي حتى تسلم الأشرف برسباي السلطنة سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، تحركات أخرى للإمارة حاولت معها أن تسيطر على مواقع ومدن جديدة، مستفيدة من انشغال دولة المماليك الجراكسة بالصراع الذي قام بين الناصر فرج (٨٠١-٨١٥هـ/

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ص: ٤٤٩-٤٥٠؛ ابن حجر، إنباء، ج٢ ص: ٥٦ وخليل بن قراجا كبير التركمان بالبلاد الحلبية ولي نيابة ألسلطنة في مرعش وابلستين وقتل سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م. انظر القرماني، أخبار، ج٣ ص: ١٠٠، محمد دهمان، العراك، ص: ٢٥-٢٧؛ زامباور معجم الأنساب، ص: ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) ابن حجر، إنباء، ج٢، ص: ٥٠

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص: ٣٩، عن سولي بن ذلغادر، والحقبة التي حكم الإمارة فيها، انظر زامباور، معجم الأنساب، ص: ٢٣٥.

١٣٩٨-١٤١٢م). وبين الثائرين عليه من أمراء بلاد الشام[1]، حيث كانت إمارة ذلغادر تقف إلى جانب السلطان الناصر فرج تارة، وإلى جانب معارضيه تارة أخرى، فتمكنت خلال ذلك من السيطرة على مدينة (درندة) وقلعة (دوركي[2]).

وقد سلكت الإمارة ذات السلوك خلال عهد السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ) حيث حاولت التقرب منه، وإظهار طاعتها له، فقامت بإرسال مندوب عنها هو الأمير علي بك بن ذلغادر حاملاً معه مفاتيح المدينتين المشار إليهما لكي يتصرف السلطان كما يشاء بهما، لذا فقد كافأه على تصرفه هذا ، وعينه نائباً عنه في مدينتي مرعش، وأبلستين[3].

وقد وقفت إمارة ذلغادر إلى جانب السلطان المشار إليه واستندته في حملته سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م، ثم حملة ابنه إبراهيم سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م، الموجهتين ضد إمارة بني قرمان، وكانت ثمرة هذا الموقف قيام السلطان المؤيد شيخ باسناد الإمارة ضد منافستها إمارة بني قرمان[4] وتعين ناصر الدين أحمد بن محمد بن ذلغادر نائباً عنه في (قيصرية) التي كانت آنذاك تابعة لبني قرمان، بل أنه اضاف إليه مدينة طرسوس سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩)[5].

استثمر الأشرف برسباي العلاقات الإيجابية بين إمارة ذلغادر، وبين المماليك في عهد سلفه المؤيد شيخ، وأرسى سياسته تجاههم بما يعمق هذا الاتجاه،

---

(١) شهدت دولة المماليك الجراكسة خلال الثماني سنوات الأولى من حكم الناصر فرج (٨٠١-٨٠٧هـ/١٣٩٨-١٤٠٥م) صراعات وثورات شبه مستمرة، بين السلطان نفسه وبين الأمراء المماليك، وبخاصة أولئك الذين كانوا يتولون مناصب إدارية كبيرة في بلاد الشام، انظر عن ذلك المصادر المعاصرة مثل السلوك والإنباء.

(٢) زياد عبد العزيز المدني، مدينة حلب في العصر المملوكي الثاني من خلال كتاب الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لعلاء الدين أبو الحسن من خطيب الناصرية ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٨٢، ص٩٧، ويشار إليه فيما بعد، المدني، حلب .

(٣) المقريزي،السلوك، ج٤، ص: ٤٢؛ العيني، عقد الجمان، ص: ٢٩٠، ابن تغري بردي، النجوم، ج٣، ص: ٢٠١-٢٠٢؛ الصيرفي، نزهة، ج٢، ص: ٣٩٤.

(٤) ابن حجر، إنباء، ج٧، ص: ٣٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ج٧، ص: ٢٦٣.

وهو ما يعكسه استمرار هذه العلاقات طوال الثلاث عشرة سنة الأولى من حكمه (٨٢٥-٨٣٨هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٥م) دون أن يحدث ما يعكر صفوها[١]، بيد أن هذه العلاقات شهدت اتجاهاً معاكساً لما كانت عليه خلال السنوات الأخيرة من حكم الأشرف برسباي؛ وهو ما يمكن إرجاعه إلى عاملين:

(أ) ظهور الأمير المملوكي جانبك الصوفي في آسيا الصغرى[٢]، بعد أن كان متخفياً منذ هروبه من مصر سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٥م[٣]، إثر قيامه بمحاولة للإطاحة بالسلطان الأشرف برسباي سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٥م، مما شكل تهديداً للمماليك بسبب احتمال قيام تحالف ضدهم بينه وبين بعض الأمارات التركمانية أو التيموريين.

(ب) قيام الأمير فياض بن ناصر الدين بن ذلغادر بالهجوم سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٥م، على مدينة مرعش وطرده لابن عمه الذي كان حاكماً عليها، وهو الأمير حمزة بن علي بن ذلغادر، ومن ثم الاستيلاء عليها، دون أن يكون مخولاً بذلك من قبل السلطان الأشرف برسباي، مما جعل نائب حلب قرقماس يقود قواته العسكرية ويتجه نحو مدينة مرعش حيث تمكن من إعادة المدينة إلى صاحبها الأمير حمزة بن علي، وإلقاء القبض على الأمير فياض وإرساله مقيداً إلى القاهرة حيث تم سجنه فيها، مما أثار والده الأمير ناصر الدين، ودفعه للتفكير بوسيلة أو بأخرى لفك أسر ولده واسترجاعه سليماً[٤].

أثر الأمير ناصر الدين محمد بن ذلغادر أن يعالج هذا التأزم في علاقاته بدولة المماليك بوسائل دبلوماسية، حيث أوفد زوجته خديجة؛ أم فياض إلى القاهرة لمقابلة السلطان الأشرف برسباي، حاملة معها مفاتيح مدينة (قيصرية) لكي يتصرف بها كما يرتئي، إشارة إلى استمرار ولاء الإمارة للمماليك.

(١) انظر: ابن حجر، إنباء، ج٨، ج٩، حوادث السنوات المشار إليها فيهما.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٩٤٨-٩٤٩.

(٣) كان الأمير جانبك الصوفي قد حاول سنة ٨٢٥هـ أن يزيح الأشرف برسباي قبيل توليه السلطنة، بيد أنه لم ينجح وألقي القبض عليه ثم سجن في الاسكندرية، ولم يلبث أن هرب من سجنه سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٥م، وظل متخفياً حتى ظهوره في آسيا الصغرى سنة ٨٣٨هـ انظر عنه: ابن حجر، إنباء، ج٨، ص١٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٧، ص: ٢٦٣.

وقد نقلت خديجة طموح زوجها أن يكون نائباً عن السلطان في مدينة (قيصرية) إذا ما رغب السلطان إبقاءها بيده، كما طلبت منه أن يعفو عن ابنها فياض المعتقل في سجن القاهرة. وقد استجاب الأشرف برسباي لمطالب خديجة، فوافق على أن تبقى (قيصرية) بيد زوجها ويكون نائباً عنه فيها، إضافة إلى ما هو في يده، ولم يكتف بقبول عذرها بخصوص ولدها فياض، وإطلاق سراحه، بل منحه مدينة (مرعش)، التي سبق لقوات السلطان الأشرف نفسه أن طردته منها وألقت القبض عليه[1].

لقد أدى إجراء الأشرف برسباي هذا، إلى نشوء مشكلة أخرى، فقد غضب الأمير حمزة بن ذلغادر المشار إليه، والذي كانت (مرعش) تحت حكمه، وخرج منها حيث تحالف مع الأمر جانبك الصوفي الذي سبقت الأشارة إلى أنه كان قد ثار خارجاً على الأشرف برسباي، ثم تمكن من الهرب خارج مصر، واتخذ من أسيا الصغرى -في هذه الحقبة- مكاناً لنشاطه السياسي المعادي له[2].

لقد أدى بروز هذا العامل الجديد إلى تعقيد العلاقات بنى إمارة ذلغادر وبين المماليك، وهذا ما دفع الأشرف برسباي إلى اتباع سياسة جديدة اعتمدت الوسائل الدبلوماسية تارة والوسائل العسكرية تارة أخرى، حيث بادر حال سماعه بهذا التحالف إلى إرسال اثنين من كبار امرائه إلى والد سليمان المشار إليه؛ ناصر الدين محمد بن ذلغادر، فلما وصلا إليه في مقره بمدينة الابلستين، نقلا له رسالة السلطان و (حلّفاه -على حد تعبير ابن حجر- أنه إذا قدم عنده جانبك الصوفي، لا يسلمه ولا يخذله[3]).

ويبدو من تطور الأحداث التي اعقبت هذا اللقاء أن ثمة اتفاقاً عقد بين الطرفين؛ ناصر الدين بن ذلغادر من جهة، والسلطان الأشرف برسباي من جهة أخرى، يهدف إلى خداع جانبك الصوفي والقوات التي معه وإلقاء القبض عليهم.

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ٢٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ج١٤، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٣) ابن حجر، إنباء، ج٨ ص: ٢٤٠-٢٤١.

فقد أشار ابن حجر العسقلاني في أحداث سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٥م إلى أن اجتماعات عدة عقدت مع جانبك الصوفي اعقبت هذا اللقاء المشار إليه، حضرها سليمان بن ذلغادر وأمراؤه، ثم التقى هؤلاء في مدينة ملطية بناصر الدين بن ذلغادر، في إطار التنسيق لعمل ضد الأشرف برسباي، وقد اعقب هذا الاجتماع توجه جانبك الصوفي والقوات الخاصة به لمحاصرة قلعة دوركي وبإسناد من إمارة ذلغادر، مما يبدو أنه كان مجرد إشعار له بصدق الإمارة في تحالفها معه ضد السلطان الأشرف برسباي، حيث أعقب ذلك ارسال كتاب من سليمان بن ناصر الدين إلى الأمير جانبك يتضمن (أنه معه معيناً له على مقاصده[١]).

وقد عقب ابن حجر الذي أورد خبر الكتاب المشار إليه قائلاً (فاغتر -أي جانبك- بذلك، فاجتمعا بملطية، فبالغ في إكرامه، والمناصحة له، وأقاما على ذلك مدة، ثم خرجا يوماً للصيد والتنزه فابعدا في ذلك..... فقبض أصحاب سليمان على جانبك وقيدوه، وأخذه سليمان ليلاً حتى وصل الابلستين فسجنه فيها، وراسل السلطان الأشرف برسباي يعلمه بالقبض عليه[٢]).

لقد كان وراء خداع ناصر الدين بن ذلغادر- كما أشير إليه أنفاً لجانبك الصوفي، هو من أجل اتخاذه وسيلة للضغط على الأشرف برسباي لاطلاق ولده فياض الذي كان مسجوناً لديه في القاهرة، ولم يكن ناصر الدين- حتى تنفيذ اعتقال جانبك الصوفي- يعلم أن مهمة زوجته خديجة في القاهرة قد نجحت، كما أشير إليه أنفاً، وقد فوجيء بوصولها، وابنها فياض، بعد الاعتقال المشار إليه[٣].

ومع أن الأشرف برسباي الذي استقبل سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٦م قاصداً من ناصر الدين بن ذلغادر يعلمه بخبر إمساك جانبك الصوفي قام بارسال موفد عنه إلى كل من ناصر الدين بن ذلغادر، وابنه سليمان شاد بك، وأس النوبة مع أحوال وهدايا مناسبة، يهدف تسليم جانبك الصوفي تنفيذاً -على ما يبدو

---

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٣٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص: ٣٤٢-٣٤٣، ٣٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص: ٣٧٤.

للاتفاق المشار إليه آنفاً بينهما-، فقد عاد الموفد دون أن يحقق شيئاً، ووردت الأنباء إلى القاهرة بأن ناصر الدين بن ذلغادر تسلم الأموال المرسلة وأنه أطلق جانبك من سجنه.

ويبدو أن ناصر الدين بن ذلغادر حين أدرك أن ولده فياض وصل إليه، أطلق جانبك الصوفي الذي بدأ يتحرك بحرية في تجميع قواته، وإقامة تحالفات لتحقيق أهدافه ضد الأشرف برسباي، ومن ذلك أنه أرسل سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٦م قاصداً من قبله إلى نائب مدينة درنده يستميله إلى جانبه، فقام النائب بالقبض على القاصد، وإرسال كتابه إلى الأشرف برسباي الذي اطلع على مضمونه (فتحقق كما قال ابن حجر- غدر ابن ذلغادر[1]).

لقد جاء هذا التطور يحمل معه تهديداً لصالح المماليك عموماً في آسيا الصغرى من جهة. كما أنه يحمل تهديداً لحكم الأشرف برسباي خصوصاً الذي كان هو الهدف المباشر لتحركات منافسه جانبك الصوفي، بيد أن المماليك كانوا آنذاك يواجهون مشكلة تأزم العلاقات بينهم وبين التيموريين بزعامة شاه رخ، وربما يكون هذا هو مامنع الأشرف برسباي من إرسال حملة عسكرية[2]، أن يتخذ إجراءات سياسية وعسكرية لمواجهة الوضع وهي:

١- أرسل كتاباً لابن عثمان مراد الثاني (٨٢٤-٨٥٥هـ/١٤٢١-١٤٥١م) سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٦م يطلب منه التأهب لرافقته في حملة عسكرية لقتال شاه رخ، مما يعني أنه أراد جر العثمانيين للتحالف معه ضد الخطر التيموري وإبعادهم عن احتمال اسناد تحالف إمارة ذلغادر مع جانبك الصوفي وقواته ضد المماليك.

٢- أرسل تجريدة عسكرية على رأسها عدد كبير من الأمراء بينهم الاتابك جقمق مع ألفي فارس من مماليك السلطان، وأجناد الحلقة، وقد زود التجريدة بما تحتاجه، ما بلغت نفقاته سبعة عشر ألف دينار[3].

---

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٣٧٥-٣٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص: ٣٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص: ٣٧٧-٣٧٨. مماليك السلطان هم مشتريات السلطان وجلباته وما =

٣- أرسل كتبه إلى بلاد الشام يأمرهم بالاستعداد لمواجهة تحركات جانبك الصوفي وآل ذلغادر[1].

وقد اتجهت هذه القوات نحو مدينة حلب ونسقت خططها العسكرية مع أميرها تغري برمش، ثم اتجهت نحو الابلستين وعنتاب، ففر أمامهم كل من ناصر الدين بن ذلغادر وجانبك الصوفي، بيد أنهم تمكنوا من أسر عدد من نواب الأخير، بينهم أحد كبار أعوانه وهو قرمش الأعور الذي جيء به سجيناً إلى حلب، ثم قتل فيها، وجهز رأسه إلى القاهرة.

استمرت القوات المملوكية حتى سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م متخذة من حلب مركزاً لها تنطلق منه لشن حملاتها على هذه المدينة أو تلك من مدن إمارة ذلغادر.

أما رد فعل أمير ذلغادر ناصر الدين محمد، تجاه هذه المتغيرات فقد اتجه نحو توسيع دائرة الصراع مع المماليك ، ودعا العثمانيين لمساندته، مستفيداً من قيام حليف المماليك الأمير إبراهيم بن قرمان، بالاستيلاء على مدينة (اماسية) التابعة للعثمانيين إضافة لاستيلائه على مدينة (قيصرية) التي كانت آنذاك بيد إمارة ذلغادر[2].

وقد وردت إلى القاهرة فعلاً أنباء تتحدث عن نجاح لمساعي أمير ذلغادر في خطوته هذه، فقد أشار ابن حجر العسقلاني ضمن حوادث سنة ٨٤٠هـ أنه (جاءت أخبار من جهة ابن عثمان ومن جهة جانبك الصوفي)، ثم اردف قائلاً: (وشاع بأن ابن عثمان قصد نصرتهم)، ويعني بذلك إمارة ذلغادر وجانبك الصوفي[3].

= يتبقى عنده من مماليك من سبقه في السلطنة. عاشور، العصر المماليكي، ص: ٤٧٧. وأجناد الحلقة هم محترفو الجندية من مماليك السلطان السابقين وأولادهم. عاشور، المرجع نفسه، ص: ٤٠٩.

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٣٧٦-٣٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص ٤١٨. وأماسيا مدينة قديمة فيها مباني ومساجد، امتلكها العثمانيون. دائرة المعارف الإسلامية، دار الفكر، (د.ت)، م٢، ص: ٦١٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص ٤٢٢-٤٢٣.

في ضوء هذه الإشاعات، دعا الأشرف برسباي إلى عقد مجلس مشورة لكبار أمرائه لمناقشة ما يجب اتخاذه، واتخاذ قرار حول مدى ضرورة إرسال حملة عسكرية، بيد أن المجلس آثر التريث وعهد إلى نواب الشام أن يقوموا بمهمتين:

أ- مساندة إمارة بني قرمان الحالفة للمماليك، إذا ما ووجهت باعتداء على أراضيها.

ب- مراقبة الموقف في آسيا الصغرى لمعرفة مدى صحة الإشاعات حول تحالف إمارة بني عثمان مع كل من إمارة ذلغادر وجانبك الصوفي(١).

وعلى الرغم من أن سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م شهدت تطوراً ملحوظاً حيث نجح نائب حلب تغري برمش بمتابعة تنقلات جانبك الصوفي حتى إذا وصل إلى أحد الأمراء التابعين لإمارة آق قوينلو واسمه مرزابك، استطاع إغراءه بالقبض عليه مقابل خمسة آلاف دينار، فتابعه مرزا حتى تمكن منه، وألقى القبض عليه بعد إصابته بجرح حيث توفي في اليوم التالي، فحز رأسه، وأرسل إلى حلب ثم القاهرة.

لقد جاء موت جانبك الصوفي سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م نصراً للأشرف برسباي، دون أن يعني حلاً للمشكلات القائمة بين إمارة ذلغادر وبين المماليك في عهده، إلا أن برسباي لم يكتب له أن يواصل خطواته لمواجهتها فقد توفّي في شهر رمضان سنة ٨٤١هـ/١٤٣٨م تاركاً ذلك للسلطان المملوكي جقمق من بعده(٢).

---

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٤٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص: ٤-٥.

المبحث الرابع

سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة بني رمضان

يكتنف الغموض تاريخ تأسيس هذه الإمارة، ولكن من الثابت أن بني رمضان هم من التركمان الذين وفدوا من آسيا الوسطى، واستقروا في إقليم أدنة، وأقاموا لهم إمارة فيه. ويبدو أن هذا الموقع المحاط بإمارة ذلغادر شرقاً، وإمارة بني قرمان شمالاً وغرباً، والذي يحظى بمنافذ على البحر المتوسط، جعل الإمارة -على الرغم من صغر مساحتها- ذات أهمية كبيرة للمماليك. وهو أمر ملاحظ منذ عهد سلطنة المماليك البحرية التي حاولت كسب الإمارة إلى جانبها منذ سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م[1] ، عندما منحت الأمير رمضان اوغلوا إقطاع[2] قراجا بن ذلغادر اثر غضبها على الأخير، حيث قامت العلاقة معها على أساس تبعيتها للمماليك.

اضطربت هذه العلاقة في عهد أحمد بن رمضان الذي حكم الإمارة بين سنتي (٧٨٠-٨١٩هـ/١٣٧٨-١٤١٦م)، حيث قام بغزو الأراضي المملوكية في بلاد الشام مما دعا نائب حلب يلبغا الناصري أن يتوجه سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م بعساكره الحلبية وببعض العساكر الشامية لإخضاع الأمير المشار إليه، وقد التقوا بقوات أحمد بن رمضان على مقربة من نهر الفرات، وتمكنوا من تحقيق النصر عليه، وأسر أخيه إبراهيم، وابنه راشد بن إبراهيم، وقد أمر يلبغا بتوسيطهم، ثم قامت القوات المملوكية (الحلبية والشامية) بعد ذلك بملاحقة عساكر بني رمضان

(١) المقريزي،السلوك، ج٢، ص: ٨٧٠-٨٧٤. عن هذه الإمارة انظر لين بول، الدول الإسلامية، ق٢، ص: ٤٦٣-٤٦٤؛ باينكر، « رمضان أوغلوا» دائرة المعارف الإسلامية ج١٠، ص: ١٨٧-١٨٨.

(٢) اعتاد سلاطين المماليك أن يقطعوا إقطاعات لمن يعلن تبعيته لهم من التركمان، انظر المقريزي،السلوك، ج٢، ص: ٨٧٤، ٩٢١.



خارطة رقم (٥) توضح الحدود التقريبية لإمارة بني رمضان التركمانية

المصدر: الزهيري، العلاقات

حتى اصطدموا معها قرب مدينة أدنة حيث جمع بنو رمضان أعداداً كبيرة من التركمان واضطروا العساكر المملوكية إلى التراجع[1].

ويبدو أن العلاقات المملوكية مع هذه الإمارة بدأت تتجه نحو التحسن اعتباراً من سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م، وربما كان للغزو التيموري لبلاد الشام أثره في هذا التقارب، فقد حمت الإمارة مدينة حلب عندما حوصرت من قبل أمير العرب نعير، واضطرت هذا الأمير إلى فك الحصار عن المدينة والفرار (ليلاً بمن معه[2]).

وقد أشار السخاوي في ترجمته لأحمد بن رمضان إلى دوره هذا فقال: «وله اليد البيضاء في طرد العرب عن حلب في ذي الحجة سنة ثلاث[3]». وقد عمق هذا النهج الجديد في العلاقات بين الطرفين زواج السلطان المملوكي الناصر فرج من ابنة أحمد بن رمضان[4]، وكان من مظاهر هذا التقارب أيضاً تبادل الرسائل والهدايا بين الطرفين[5]، واستجابة الأمير أحمد بن رمضان لطلب السلطان الناصر فرج في الوقوف ضد الثائر المملوكي الذي ثار في وجهه، وهو الأمير شيخ المحمودي[6].

أما في عهد هذا الأمير الذي أصبح سلطاناً سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م فقد اتجهت العلاقات بين الطرفين إتجاهاً جديداً، حيث خرج الأمير أحمد بن رمضان عن طاعة السلطان سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م، وقام بمحاصرة مدينة طرسوس ثم تمكن منها

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ص:٥٠٤-٥٠٨، ابن حجر، إنباء، ج٢، ص: ١٣٠، ١٣٨، ١٣٨-١٣٩؛ الصيرفي، نزهة، ج١، ص: ٨٣-٨٥؛ تقي الدين أبي بكر أحمد بن قاضي شهبة ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م، تاريخ ابن قاضي شهبة، ٣ج تحقيق عدنان درويش، ، ١٩٧٠، ج٣، ص: ١١٥، ويشار إليه فيما بعد، ابن قاضي شهبة، تاريخ.

(٢) ابن حجر، إنباء، ج٤، ص: ٢٢١. ونعير هو محمد بن حيار من مهنا أمير آل فضل بالشام. السخاوي، الضوء، ج١٠، ص: ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص: ٣٠٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص:٣٠٣.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣ ص: ٩٢٩، ابن اياس، بدائع، ج١، ق٢، ص: ٥٢٠؛ القرماني، أخبار، ج٣، ص: ١٠٦.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٤، ص:٧٥، ١٢٧، ١٢٨.

ونهبها[1].

لقد جاءت وفاة أحمد بن رمضان سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م، فرصة لتحسين العلاقات، حيث حل في إمارة بني رمضان الأمير إبراهيم بن أحمد بن رمضان. وقد بادر هذا بمراسلة السلطان وبرجاء العفو عنه، فقبل منه المماليك ذلك وطلبوا إليه أن يقدم الطاعة فقدمها وأنعموا عليه بإقطاعات[2]، غير أن إبراهيم نفسه قام بعد هذا التاريخ بسنتين، أي سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م بمحاصرة مدينة طرسوس أكثر من أربعة أشهر، فأرسل نائبها شاهين الأيدكاري إلى السلطان المؤيد شيخ يطلب نجدته[3]. وقد قامت هذه المحاولة من بني رمضان في إطار تحالف بينهم وبين إمارة بني قرمان، وإلى هذا أشار المؤرخ المعاصر محمود العيني (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) حيث قال ضمن يومياته الخاصة بسنة ٨٢١هـ/١٤١٨م أن خبراً (جاء بانتماء ابراهيم بن رمضان لابن قرمان) أما رد فعل السلطان على ذلك، فقد أخذ خطين:

١- خلع الأمير ابراهيم بن رمضان من نيابة أدنة وعين بديلاً عنه ابنه حمزة.

٢- وجه أوامره إلى نائبة في حلب لتسيير العساكر ومساندة شاهين؛ نائبه في طرسوس[4].

وحاولت الإمارة في السنة ذاتها (٨٢١هـ/١٤١٩م أن تسترضي السلطان المؤيد شيخ حيث أرسل أميرها والدته إلى مصر تستعطف الرضى عن ولدها، إلا أنه لم يقبل وساطتها وأمر باعتقالها[5].

لقد كان من الطبيعي أن يرفض المؤيد شيخ وساطة والدة إبراهيم، حيث

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ص:٤، ص:٣٠٩؛ السخاوي، الضوء، ج١، ص:٣٠٢.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ص:٤٠٣، الصيرفي، نزهة، ج٢، ص: ٣٨٩-٣٩١.

(٣) ابن حجر، إنباء، ج٧، ص: ٣٠٣-٣٠٤؛ الصيرفي، نزهة، ج٢، ص: ٤٢١-٤٢٢. وشاهين الأيدكاري هو أحد أمراء حلب، السخاوي، الضوء، ج٣، ص: ٢٩٣.

(٤) ابن حجر، إنباء، ج٧، ص: ٣٠٣-٣٠٤؛ العيني، عقد الجمان ص: ٣٣٠.

(٥) ابن حجر، إنباء، ج٧، ص: ٣٢٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٣، ص: ٢٤٤.

كانت الدولة المملوكية قد وصلت إلى قناعة بضرورة إرسال حملة كبرى، وهي التي كان على رأسها السلطان نفسه والتي قادها سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م لإخضاع إمارة بني قرمان وحليفتها إمارة بني رمضان. ومع أن المؤيد شيخ تمكن من إخضاع الإمارتين في حملته هذه إلا أن توطيد الأمور فيهما اقتضى -كما أشير إليه سابقاً- إرسال حملة ثانية بقيادة ابنه إبراهيم سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م.

لذا فإن علاقات الإمارة بالدولة المملوكية في عهد السلطان الأشرف برسباي اتسمت بالهدوء النسبي، وقد نجح السلطان فعلاً في فرض هيمنته عليها، حيث لا يشار في المصادر المعاصرة إلى أية أعمال عدائية بين الطرفين، إلا في حالات قليلة أبرزها قيام إبراهيم بن رمضان بالتمرد على المماليك سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م بيد أن هذا التمرد لم يكتب له الاستمرار، فقد بادرت إمارة بني قرمان بإلقاء القبض عليه، بحكم علاقاتها الطيبة مع المماليك في هذه الحقبة، وإرساله إلى مصر مقيداً [1]، مما أعاد الأمور إلى وضعها الطبيعي، ويلاحظ أن ابن رمضان كان ضمن الأمراء الذين وردوا إلى مدينة حلب لتقديم الولاء عندما وصل السلطان الأشرف برسباي إليها إبان حملته الثانية على آمد والتي قامت سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م[2].

---

(١) الصيرفي، نزهة، ج٣، ص: ١٢٠-١٢١.

(٢) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٢٧٨.

المبحث الخامس

سياسة الأشرف برسباي تجاه إمارة بني عثمان

نشأت إمارة بني عثمان في الجزء الشمالي الغربي من آسيا الصغرى سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م من قبل جماعات من القبائل التركمانية بزعامة عثمان بن أرطغرل (٦٩٩-٧٦١هـ/١٢٩٩-١٣٥٩م) كانت قد قدمت إلى آسيا الصغرى ضمن حركة واسعة لقبائل تركمانية متعددة، اضطرت للهجرة من مواقعها الأصلية في تركستان، خوفاً من الغزو المغولي الذي اندفع باتجاه بلادهم في حدود القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

كان الموقع الذي اتخذته هذه الإمارة (الجزء الشمالي الغربي من آسيا الصغرى) مستقراً لها، يجاور الدولة البيزنطية بينما يجاورها من الشرق إمارات تركمانية أخرى أبرزها إمارة بني قرمان، والتي ترتبط معها بعلاقات قربى ومصاهرة[1].

إن وجود عدد كبير من الإمارات التركية في وسط وشرق آسيا الصغرى، لم يتح لإمارة بني عثمان في سنواتها الأولى، أن تتوسع شرقاً، تأميناً لاحتياجات القبائل التركمانية المنضوية تحت سيادتها، لذا فقد كان عليها أن تبحث عن مجال آخر لها، على حساب الدولة البيزنطية، وقد اكتسب توسعها هذا صفة الجهاد والدفاع عن العقيدة[2]. ولقد استقبل توجهها هذا استقبالا حسناً من قبل دولة المماليك الجراكسة نظراً لأنه جاء منسجماً مع مصالحها تجاه الفرنج الذين كانوا يشكلون أحد أكبر التحديات التي واجهتها في البحر المتوسط، كما عمق هذه العلاقة تعرض كل من المماليك وبني عثمان للخطر التيموري، إثر

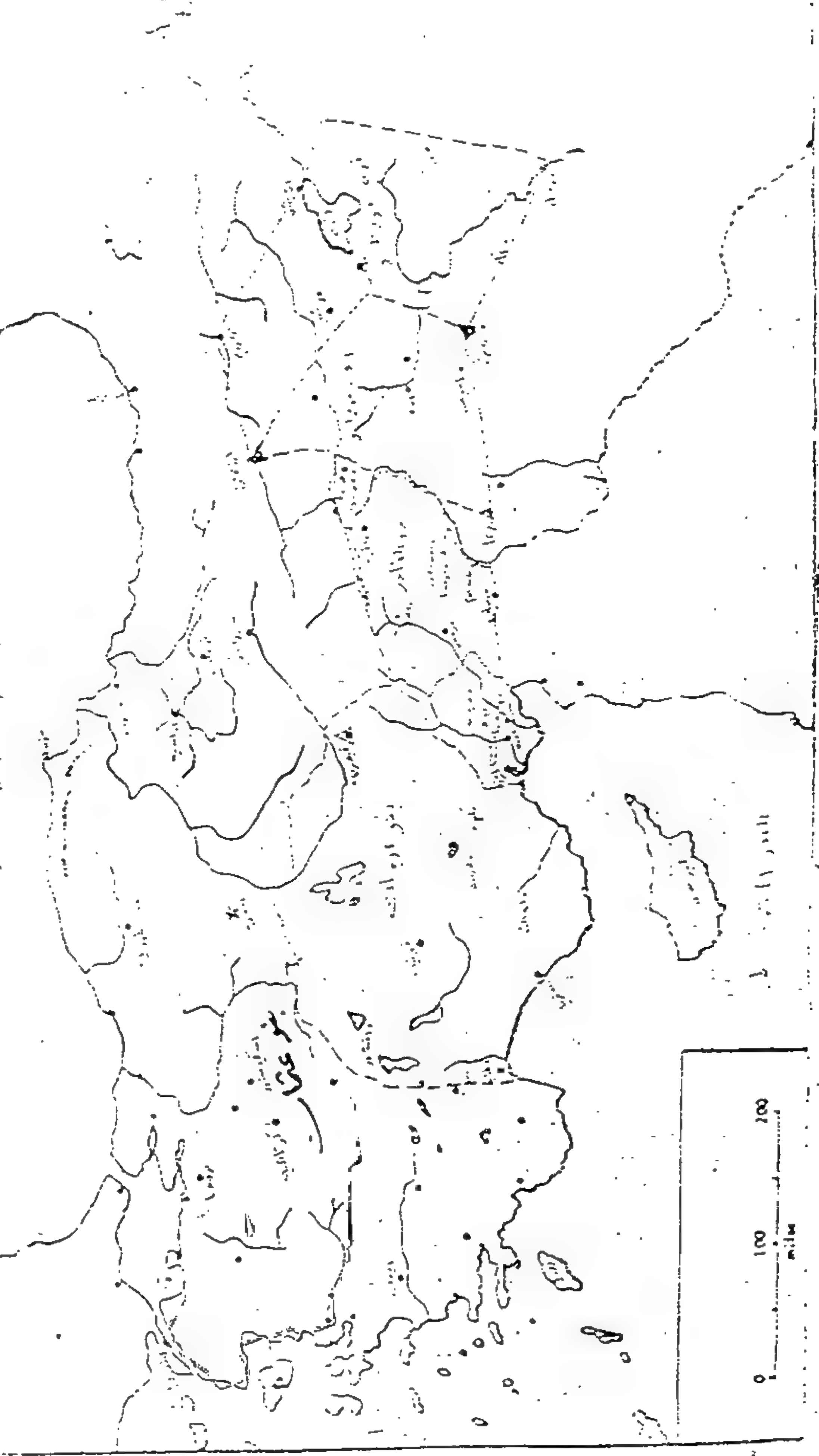
---

(١) بوزورث، الأسرات، ص: ١٩٤، زامباور، معجم الأنساب، ص: ٢٣٩.

(٢) بوزورث، الأسرات، ص: ١٩٤.

خارطة رقم (٦) توضح الحدود التقريبية لإمارة بني عثمان التركمانية

المصدر، الزهيري، العلاقات



ظهور تيمورلنك وقيامه بغزو بلاد الشام وآسيا الصغرى[1]، وقد انعكس ذلك في تبادل الزيارات والرسائل والتشاور في السنوات ٧٩٠هـ/١٣٨٨م[2]، ٧٩١هـ/١٣٨٩م[3]، ٧٩٥هـ/١٣٩٢م[4]، ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م [5]، ٧٩٩هـ/١٣٩٥[6].

وعلى الرغم من حرص المماليك على استمرار هذه العلاقات فإنهم نظروا إلى إمارة بني عثمان بحذر، وراقبوا تحركاتها في آسيا الصغرى، ومدى تأثير ذلك على مصالحهم وارتباطاتهم بالإمارات التركمانية الأخرى[7]، وهو ما حصل سنة ١٣٩١/٧٩٣م عندما غزا بايزيد الأول مدينة قيصرية، وألقى القبض على صاحبها المرتبط بالتبعية للمماليك، ولكن بايزيد سارع -قبل أن يتخذ المماليك أية إجراءات- فأرسل رسالة يعتذر فيها عن ذلك[8]. وقد تكرر ذلك سنة (٨٠١هـ/١٣٩٧م)، فقد وصلت أنباء إلى القاهرة أن بايزيد غزا بقواته مدن ملطية والأبلستين ودرندة (وأنه ينوي مهاجمة بلاد الشام) حيث قام السلطان الناصر فرج فوراً بطلب (الأمراء والقضاة وأرباب الدولة إلى القصر السلطاني وقرى عليهم كتب تتضمن). ما أشير إليه آنفاً. (فوقع الاتفاق على المسير لقتاله[9]) وإرسال تجريدة عسكرية لمواجهته، غير أن هذا التأزم في العلاقات، انتهى بعودتها إلى الوضع الطبيعي بعد وصول أخبار إلى القاهرة تفيد بأن التحرك

---

(١) انظر ص١٧-١٩ أعلاه.

(٢) ابن حجر، إنباء ج٢ ص: ٢٨٨-٢٨٩؛ المقريزي، السلوك ج٣ ق٢ ص: ٥٧٤؛ ابن إياس، بدائع، ج٢، ص: ٣٢٤.

(٣) ابن حجر، إنباء ج٣، ص: ٣٢٤.

(٤) المقريزي، السلوك ج٣، ق٢ ص: ٧٩٠، ابن حجر، إنباء، ج٣، ص: ١٥٨، ابن اياس، بدائع ج١ ق٢، ص: ٤٦٢.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم ج١٢، ص: ٣٧، ابن اياس، بدائع ج١ ق٢ ص: ٤٧١.

(٦) المقرزي، السلوك ج٣ ق٢ ص:٧٨٩، الصيرفي، نزهه ج١ ص:٤٤٨؛ ابن اياس، بدائع ج١ ق٢ ص:٤٨٨.

(٧) انظر، ص٢٠-٢٣ أعلاه.

(٨) ابن قاضي شهبة، ذيل تاريخ الاسلام، ورقه ٦٩، نقلاً عن سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص: ٢٦٩.

(٩) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣ ص ٩٧١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص ١٣٨؛ ابن إياس، بدائع، ج١، ق٢، ص ٥٤٧.

المشار إليه لابن عثمان كان محدوداً ولم يكن الهدف منه التعرض للأراضي المملوكية[1]، وقد تعزز ذلك بوصول رسل بايزيد بكتب سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م (تتضمن اجتماع الكلمة، وأن يكون - أي بايزيد- مع السلطان -أي فرج- ضد تمرلنك[2])، ثم أعقب ذلك وصول رسل منه سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م تأكيداً للعلاقة الطيبة بين الطرفين[3]، وقد اتصل تبادل القصاد والرسائل والهدايا سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م، ثم سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م، كما أن السلطان العثماني أرسل سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م رسله لمقابلة السلطان المؤيد شيخ ونقل تحياته له خلال وجوده مع العسكر المملوكي في مدينة (العمق) قرب مدينة حلب[4].

في إطار هذه الخلفية في العلاقات المملوكية مع إمارة بني عثمان، اعتمد الأشرف برسباي (٨٢٥- ٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) سياسة تجمع بين الحذر والترقب، وبين الرغبة بترسيخ علاقات التعاون مع إمارة بني عثمان.

وقد قوبل هذا التوجه بما يماثله من قبل إمارة بني عثمان كذلك، إثر بروز الخطر التيموري ثانية بزعامة شاه رخ بن تيمورلنك (٨٠٧-٨٥٧هـ/ ١٤٠٤-١٤٥٣م) الذي كانت علاقته قد تأزمت مع دولة المماليك إلى حد كبير، في عهد الأشرف برسباي إلى جانب طموحاته ومحاولاته التغلغل في آسيا الصغرى، مما شكل خطراً على إمارة بني عثمان كذلك[5]، لذا فقد تم تبادل الرسل والهدايا بين السلطان الأشرف برسباي، والسلطان العثماني مراد الثاني سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٢م[6] بل وشهدت القاهرة سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م وصول وفدين آخرين[7]، مما يبدو أن ذلك جاء تنسيقاً للجهود في مواجهة هذا الخطر.

وقد استمر هذا الوضع حتى سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م، حيث برز عامل جديد

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣ ص: ٩٧٩.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم ج١٢، ص: ١٧٥.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣ ص: ١٠٢٧.

(٤) ابن حجر، إنباء، ج٧، ص ٢٥٧-٢٥٨؛ العيني، عقد الجمان، ج٢، ص ٢٨٨.

(٥) انظر ص١٧-١٩ أعلاه.

(٦) الصيرفي، نزهة، ج٢، ص ٢٨.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٦٥٦.

أدخل هذه العلاقات مرحلة من القلق كادت أن تؤدي إلى صدام عسكري بين المماليك والعثمانيين، فقد ظهر في آسيا الصغرى الأمير المملوكي جانبك الصوفي الذي كان قد هرب من مصر سنة ٨٢٦هـ/١٤٢٢م وجمع حوله بعض القوات العسكرية تمهيداً للقيام بعمل مضاد للأشرف برسباي وتمكن من الحصول على إسناد إمارة ذلغادر له[1].

أمام هذا المتغير الجديد أرسل السلطان الأشرف برسباي رسله إلى السلطان العثماني ينبهه بمدى خطورة تهديدات شاه رخ ويطلب منه المشاركة في حملة مشتركة بينهما ضده[2]. لقد كان إرسال هذه الرسالة، كما يبدو وسيلة لوضع السلطان العثماني أمام الخطر الذي يهددهما على حد سواء، بما يبعده عن أن يتعاون مع الأمير المملوكي المشار إليه وحليفته إمارة ذلغادر.

وقد أعقب ذلك فعلاً، وصول أخبار وإشاعات إلى القاهرة تفيد بأن السلطان العثماني قد ساند جانبك الصوفي في تحركاته وأن الأخير تمكن بفعل هذه المساندة، ومساندة إمارة ذلغادر من الاستيلاء على عدد من القلاع والمدن الواقعة تحت الحماية المملوكية[3].

تعامل السلطان الأشرف برسباي مع هذه التطورات في العلاقة بين الطرفين المملوكي والعثماني باتخاذ الإجراءات اللازمة من جهة وعدم التسرع في اتخاذ قرار محدد تجاه إمارة بني عثمان، حيث دعا إلى عقد اجتماع لمجلس المشورة الذي تدارس الامر، واتخذ قراراً بالكتابة إلى نواب السلطان في بلاد الشام للتوجه بقواتهم العسكرية للقضاء على تحركات الأمير جانبك الصوفي، ولم يجعل قراره هذا موجها ضد إمارة بني عثمان، حيث أثر أن يوكل إلى نواب السلطان في بلاد الشام المشار إليهم أنفاً، التحقق -خلال حملتهم العسكرية ضد جانبك الصوفي- من حقيقة موقف الإمارة لكي يتم اتخاذ القرار المناسب في

(١) انظر عن ذلك ص ٦١- ٦٦.

(٢) ابن إياس، بدائع، ج٢، ص ١٧٥.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ١٠٠٩.

ضوء ذلك.

لقد كان تصرف الأشرف برسباي، بعدم التسرع تجاه المستجدات المشار إليها حكيماً، حيث وصلت تقارير نواب الشام تفيد بأن صلحاً قد تم بين إمارة بني عثمان والإمارات التركمانية الأخرى، بما يعني أن أبعاد التحرك العثماني كانت خارج إطار التأثير على المصالح المملوكية، فاستقبل السلطان الأشرف برسباي ذلك بالترحاب[1] وقد أعقب ذلك إرسال رسل من قبل السلطان العثماني إلى القاهرة سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م ليؤكدوا استمرار العلاقات الطبيعية بين الطرفين[2].

يتضح مما ورد آنفاً أن كلاً من المماليك وإمارة بني عثمان كانا في الحقبة التي سبقت عصر الأشرف برسباي، والحقبة التي حكم هو فيها، كل في حاجة إلى الآخر، بحكم وجود مصالح مشتركة تخدم الطرفين، وبخاصة أنهما كانا مهددين من عدو مشترك، هو تيمورلنك أولاً ثم ابنه شاه رخ ثانياً[3].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ١٠١٠.

(٢) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص ٤١٦؛ الصيرفي، نزهة، ج٣، ص ٧٦.

(٣) انظر أعلاه ص ٢٧-٣٤.

الفصل الرابع

المبحث الأول :

سياسة الأشرف برسباي تجاه الفرنج

المبحث الثاني :

سياسة الأشرف برسباي تجاه الحبشة

المبحث الأول

سياسة الأشرف برسباي تجاه الفرنج

إذا كان المماليك الجراكسة قبل عهد الأشرف برسباي (٧٨٤-٨٢٥هـ/ ١٣٨٢-١٤٢٢م) قد نجحوا في تحجيم حركة الفرنج في البحر المتوسط ضدهم، إلا أنهم لم يتمكنوا من أن يحسموا هذا التهديد للتجارة والموانئ المملوكية[١]، حيث استمرت أعمال القرصنة مع تولي الأشرف برسباي السلطنة سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، إذ قام الفرنج القبارصة[٢] والكتلان[٣] بالهجوم على مركب لأحد تجار دمياط[٤]، كما أشيع في السنة التالية عن حركة للفرنج تجاه السواحل المصرية، مما دعا الأشرف برسباي إلى إرسال عدد من الأمراء لمراقبة الموقف هناك[٥]، ويبدو أن ذلك حصل سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م حيث أغار الفرنج القبارصة

---

(١) انظر أعلاه ص ٢٣-٢٥.

(٢) حكم قبرص في هذه الحقبة جينوس بن جاكم بن بيدو بن أنطون بن جينوس متملك قبرص، ملكها بعد أبيه في حدود سنة ثمانمائة واستمر بها حتى قبض عليه عسكر الأشرف برسباي وجيء به في جملة أسرى إلى الديار المصرية، فأقام بالقاهرة مدة، ثم أعيد إلى مملكته بعد أن تقرر عليه شيء معين في كل سنة إلى أن هلك في سنة ٨٣٥هـ/١٤٣١م واستقر بعده ابنه جوان. انظر السخاوي، الضوء، ج٣، ص ٨٦؛ Nancy Crawhaw "The Cyprus Revolt" Encyclopedia Americana. Vol.8. p. 380-382.

(٣) الكتلان نسبة إلى كتالونيا، وهي منطقة شمال إسبانيا، عاصمتها التاريخية برشلونة. انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ١٣٨ (هامش). وهم من الطوائف الفرنجية التي كان لها علاقة تجارية مع المماليك، وقد شاركوا الطوائف الأخرى في الهجوم على الموانئ المملوكية. انظر ضومط، الدولة المملوكية، ص ٢٢٥، ٢٣٦.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٦١٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ٨٦؛ Daraj, L' Egypte, p243.

(٥) P. M. Holt, The Age of the Crusades, The Near East from the Eleventh Century to 1517, New York: Longman, 1986, p. 184. Supseqently Cited as: Holt, the Age of the Crusades.

على مركبين من مراكب التجار بدمياط[1]، كما استولوا على سفينة كانت محملة بالهدايا المرسلة من السلطان الأشرف برسباي إلى السلطان مراد العثماني (٨٢٤-٨٥٥هـ/١٤٢١-١٤٥١م)[2].

أمام تكرار هذه الاعتداءات، وما تعنية من تهديد للتجارة المملوكية، اتخذ الأشرف برسباي إجراءات انتقامية، حيث قام بمصادرة ممتلكات التجار الفرنج في بلاد الشام والإسكندرية ودمياط، ومنع أصحابها من السفر إلى بلادهم[3]، بيد أنه في ذات الوقت بدأ يعد العدة لغزو قبرص وإخضاعها باعتبارها القاعدة الرئيسة التي وقفت وراء اعتداءات الفرنج المشار إليها. أما خطواته في هذا الاتجاه فقد تمخضت عن حملات ثلاث على حكام قبرص من آل لوزنيان، وهي:

- حملة برسباي الأولى على قبرص سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م

تكونت هذه الحملة من خمسة أغربة، على رأس كل منها أمير وقد التحق بالحملة (سلّورة) من دمياط ثم توجهت جميعاً إلى طرابلس ومنها إلى قبرصحيث وصلت في شهر رمضان سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م[4] إلى ساحل مدينة الماغوصة (Famagosta).

---

(١) صالح بن يحيى (ت ٨٤١هـ/١٤٣٨م)، تاريخ بيروت، تحقيق فرنسيس هورس وكمال سليمان الصليبي، دار المشرق، بيروت، لبنان، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٨٦، ص ٢٨٢. ويشار إليه فيما بعد ابن يحيى، تاريخ بيروت؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٦٦٥-٦٦٦.

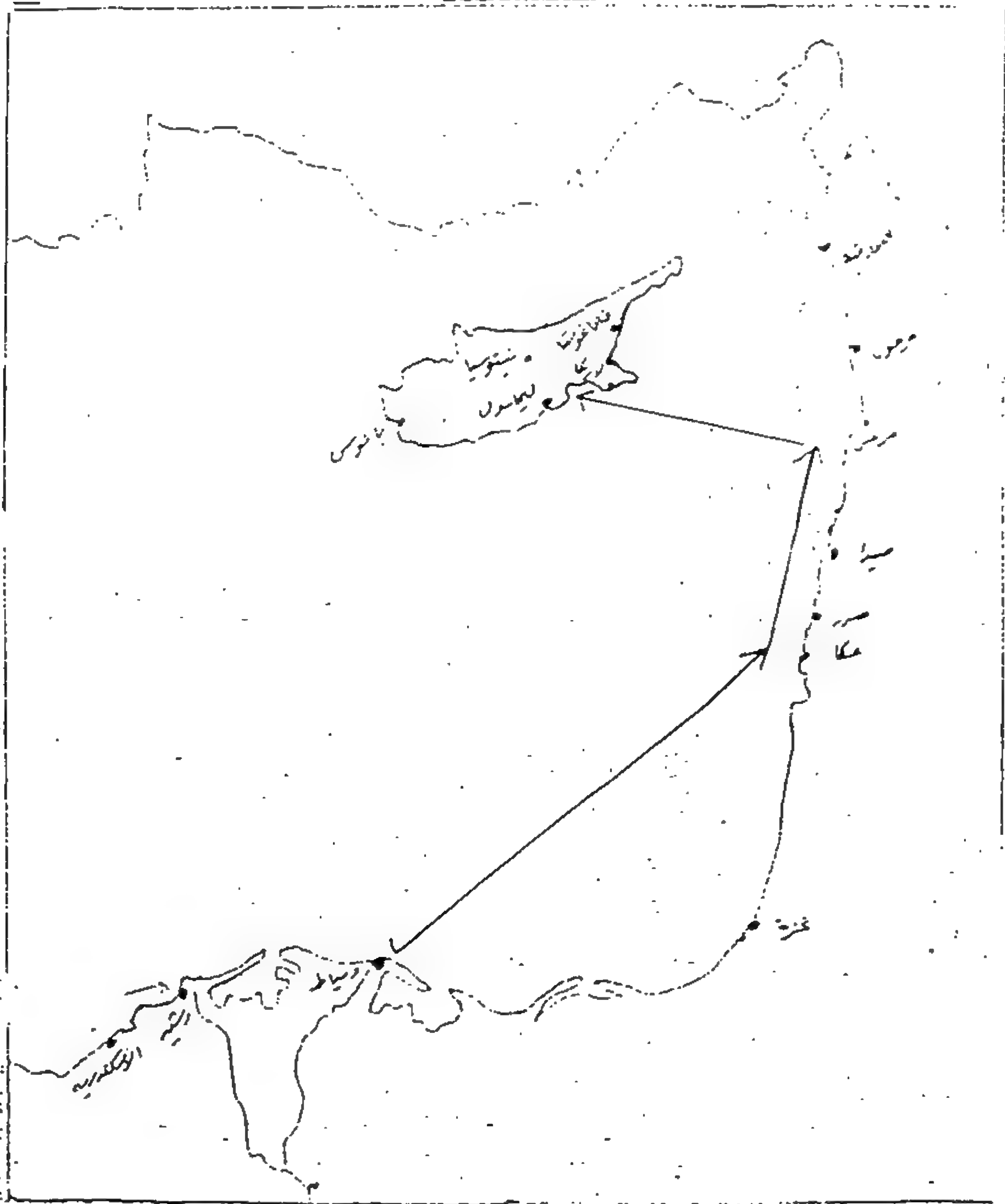
(٢) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٩م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، حققه بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٨٤، ص ١٢٨-١٢٩، ويشار إليه فيما بعد: ابن شاهين، زبدة؛ عاشور، العصر المماليكي، ص ١٧٣؛ Daraj L. Egypt, p. 243.

(٣) عبدالسلام تدمري، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري/ عصر المماليك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨١، ص: ١٦٨-١٦٩، ويشار إليه فيما بعد، تدمري، تاريخ طرابلس.

(٤) ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص:٢٤٢؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص:٦٦٨، ٦٧٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ١٠٥-١٠٦ والسلورة جمعها سلالير- وهي مراكب متوسطة الحجم تستعمل في الحرب، والسلم على السواء، سريعة الحركة. انظر العيني، عقد الجمان، ص: ٢٦٧ (هامش)؛ والماغوصة مدينة بجزيرة قبرص، انظر ابن تغري بردي، =

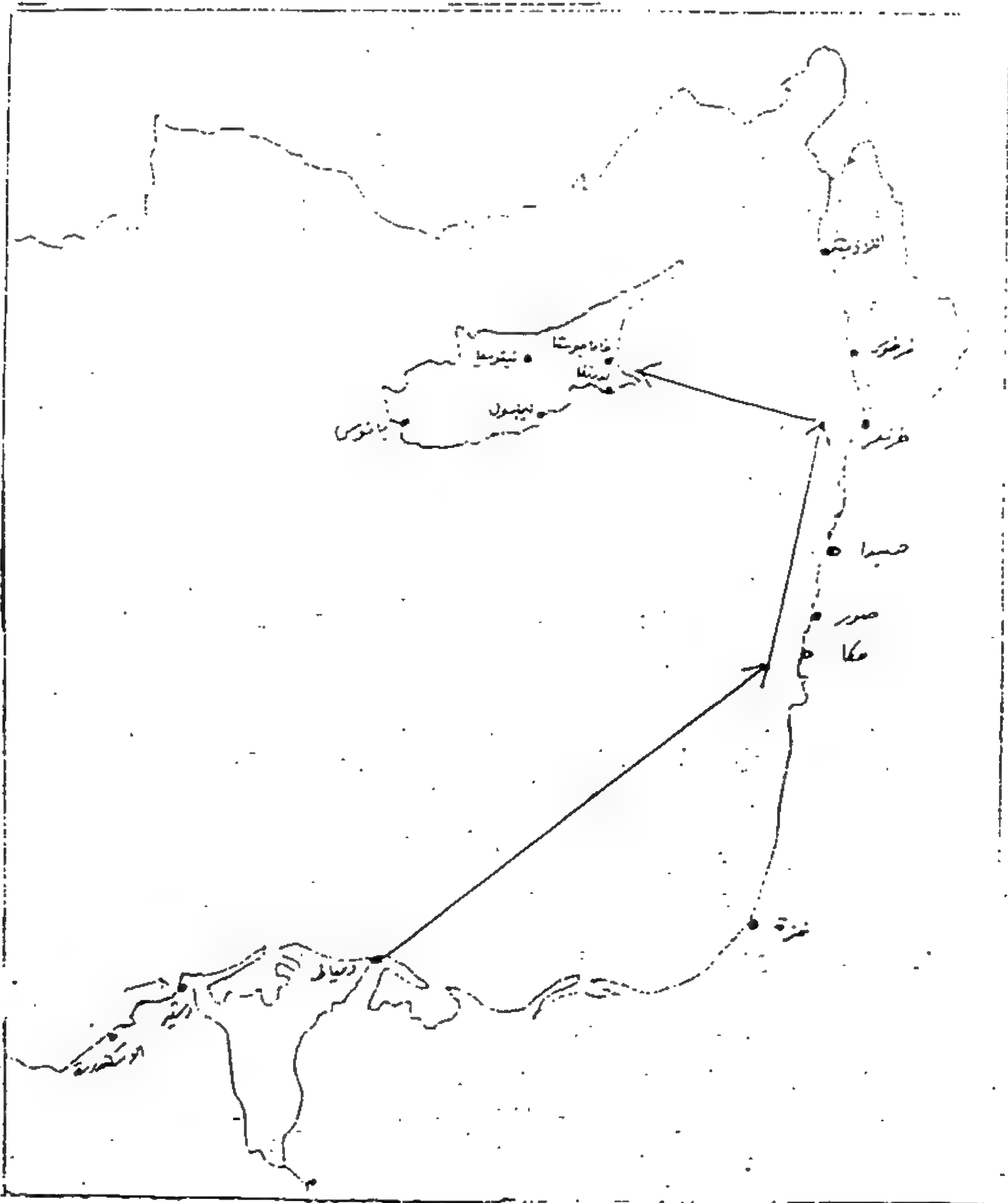
حملات المماليك على جزيرة قبرص، خط سير الحملة الأولى دمياط-السواحل الشامية-ليماسول

عزمي أبوعليان، مسيرة الجهاد الإسلامي



حملات المماليك على جزيرة قبرص، الحملة الثانية، دمياط-السواحل الشامية-فاماغوستا

عزمي أبو عليان، مسيرة الجهاد الإسلامي



ويبدو أن هذه الحملة كانت حملة استطلاعية هدفت إلى إيقاع ضربات في أماكن مختارة من قبرص، ومن ثم معرفة ردود فعل حكامها، ومستوى قدراتهم العسكرية، إذ يلاحظ أن ما حققته اقتصر على:

١- إعلان حاكم مدينة الماغوصة خضوعه للمماليك وتقديمه الأموال لهم دلالة على طاعته لهم.

٢- إعلام الحاكم المشار إليه قادة الحملة بنقاط الضعف لدى حكام قبرص.

٣- وقوع حوالي ألف أسير في أيدي المماليك.

٤- مهاجمة اللمسون، وإحراق ثلاثة أغربة في مينائها، ثم التراجع دون التمكن من السيطرة عليها[1].

- حملة برسباي الثانية على قبرص سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٥م

في أعقاب عودة رجال الحملة الأولى إلى مصر، وفي ضوء المعلومات التي يتوقع أن برسباي حصل عليها عن الموقف في قبرص، اتخذ الإجراءات التالية تمهيداً لإرسال حملة كبيرة لإخضاع الجزيرة وهي:

١- تجهيز (أغربة) والإكثار منها[2].

٢-تركيز الجند في السواحل (حفظاً لها من عادية الفرنج[3]).

٣- بناء برج في (الطينة) وتزويده بالمقاتلة[4].

= النجوم، ج١٤، ص ١٠٦. والأغربة جمع غراب وغربان، وهي نوع من المراكب الحربية، أخذه العرب عن القرطاجيين، والرومان وغيرهم من أمم البحر المتوسط، وبقي استخدامها إلى عهد الدولة العثمانية وسميت بهذا الاسم لأن مقدمها يشبه رأس الغراب. العيني، عقد الجمان، ص: ٢٥٤ (هامش).

(١) ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص: ٢٤٢؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٦٦٨، ٦٧٢؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٧٠؛ العيني، عقد الجمان، ص: ٢٦٢-٢٦٤؛ ابن شاهين، زبدة، ص: ١٢٨-١٢٩، ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ١٠٥-١٠٦.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ص:٦٨٣.

(٣) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:٧١.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٦٨٣. والطينة بُليدة من أرض مصر تقع بين الفرما وتنيس. ياقوت، معجم، ج٤، ص ٥٦.

٤- تحصين السواحل[1].

كما تم صنع الأغربة المطلوبة في موانيء مصر، إضافة إلى ميناءي طرابلس وبيروت كما هُيئت القوات اللازمة لمرافقة الحملة من (الأمراء والجند المطوعة والعشير (العربان) والزعران[2].

انطلقت الحملة من ميناء طرابلس واتجهت أولاً إلى ساحل الماغوصة[3]، حيث أكد صاحبها (أنه في الطاعة) لذا فقد أعطاه قائد الحملة أماناً[4].

اتجهت الحملة بعد ذلك نحو (الملاحة)، ثم (رأس العجوز) حيث تصدى لها، رجال من الفرنج كانوا على متن تسعة (أغربة) و (قرقورة)، بيد أن المماليك تمكنوا منهم وأسروهم[5].

ركزت الحملة الثانية على إخضاع اللمسون، حيث حاصروا حصنها وتمكنوا منه في مستهل شوال من سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٥م ونهبوا وأسروا من كان فيه بعدما قتلوا منه جماعة[6].

ونظراً لأهمية هذه المدينة (اللمسون)، فقد أرسل قائد الحملة جرباش قاشوق رسالة إلى السلطان يهنئه بالنصر[7] وبعد أن ملك المسلمون اللمسون توجهوا بمعية صالح بن يحيى صاحب كتاب (تاريخ بيروت) إلى باقوس (من ثغور

(١) ابن شاهين، زبدة، ص:١٣٨-١٣٩؛ Daraj, L'EGYPTE P. 244.

(٢) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٧٢.

(٣) إبن يحيى، تاريخ بيروت، ص: ٢٤٤-٢٤٥؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٦٨٩؛ ابن شاهين، زبدة، ص ١٣٩-١٤٠. وطرابُلُس بفتح أوله وباء مضمومة ولام مضمومة، وهي على شاطئ البحر المتوسط. انظر ياقوت، معجم، ج٤، ص ٢٥-٢٦.

(٤) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٧٢؛ ابن شاهين، زبدة، ص:١٣٩-١٤٠.

(٥) ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص: ٢٤٤-٢٤٥؛ ابن حجر، انباء، ج٨، ص: ٧٣؛ العيني، عقد الجمان، ص: ٢٦٦-٢٦٩، القرقورة: لفظ إيطالي الأصل (Cercurs)، وهي عدة انواع تستعمل في تمويل الاسطول بالزاد والمتاع وأنواع السلاح وهي متعددة الصواري والشرع. العيني، عقد الجمان، ص: ٢٦٧.

(٦) ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص: ٢٤٦-٢٤٧؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٦٩٤. اللمسون هو الاسم الذي أطلقه العرب على ميناء ليماسول في قبرص وهو قلعة ومرفأ فتحها برسباي سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م. انظر العيني، عقد الجمان، ص ٢٦٣ (هامش).

(٧) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٧٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ١١٤-١١٦.

قبرص)، ثم إلى الطينة لتسليم المراكب الفرنجية للسلطان بالقاهرة[1].

- حملة برسباي الثالثة على قبرص سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م

كان رد فعل حاكم قبرص جينوس (٨٠٠-٨٣٥هـ/١٣٩٧-١٤٣١م) على غزو المماليك للجزيرة، استنجاده بملوك الفرنج وهو ما عبر عنه ابن حجر بقوله: «فراسل ملوك الفرنج يستفزهم على المصريين، ويشكو ما جرى على بلاده فأرسل كل منهم له نجده وأرسل ملك الكتلان ابن أخيه بمركب وفرسان، وجد جانوس في عمارة المراكب والقراقر..»[2].

وقد كان الأشرف برسباي يراقب هذه التطورات حيث وصل إليه ما يؤكد تحركات جانوس المشار إليها لغزو الإسكندرية[3] لذا فقد اتخذ الخطوات التالية تهيئة لحملته الثالثة على قبرص:

١-(أمر السلطان بعمارة الأغربة والحمالات وجد في ذلك وبذل الأموال اللازمه)[4].

٢- أعطى أوامره للمماليك في بلاد الشام أن يهيئوا (حمالتين) كبيرتين في ميناء بيروت ، وقد عين الأمير شعبان اليغموري الحاجب بدمشق لمباشرة هذا العمل والإشراف عليه[5]. وقد كان برسباي يتابع تنفيذ بناء القطع البحرية اللازمة، حيث يشير صالح بن يحيى أن السلطان أرسل زردكاشه الخاص وهو تغري برمش لغرض التعجيل بإنجاز الحمالات وإحضارها إلى ثغر دمياط[6].

وقد تم فعلاً إبحار الحمالتين نحو دمياط سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م وعلى متنها ثلاثمائة رجل، وقد رافقهم كل من الزردكاش المشار إليه، وصالح بن يحيى[7].

---

(١) ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص: ٢٤٦-٢٤٧، ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ١١٤-١١٦.

(٢) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:٩٧-٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص: ٩٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص:٩٨.

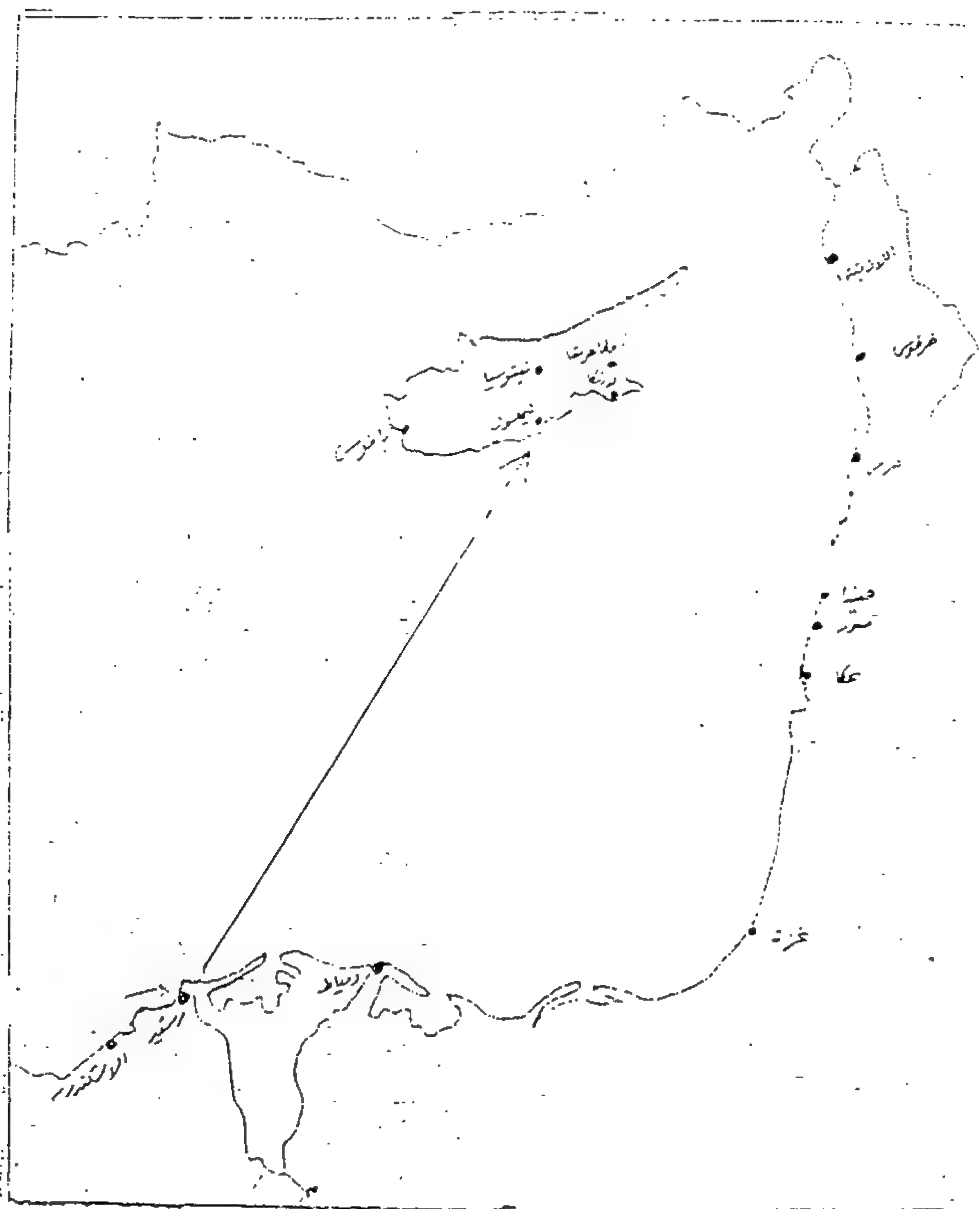
(٥) ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص: ٢٤٩-٢٥٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٤٩-٢٥٠. انظر كذلك المقريزي، السلوك ج٤، ص: ٧٢٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ١٢٤-١٢٥.

(٧) ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص: ٢٤٩-٢٥٠. والزردكاش هو الصانع الذي يعمل في السلاح=

حملات المماليك على جزيرة قبرص، الحملة الثالثة، رشيد-ليماسول

عزمي أبو عليان، مسيرة الجهاد الإسلامي



وما أن استكمل صنع الأغربة والحمالات والزوراق التي بلغ عددها أكثر من مائة قطعة[1] حتى أصدر الأشرف برسباي أمراً بتعيين اينال الجكمي أميراً على القوات البحرية، وتعيين تغري بردي المحمودي أميراً على القوات البرية، وأصدر أوامره لهما (بألا يعارض أحدهما الآخر[2])، وقد أمر كذلك بأن يرافق الحملة عدد من كبار الأمراء؛ منهم: مراد خجا الشعباني وإياس ويشبك الشاد واينال الأجرود وسودون اللكاشي وغيرهم[3].

أما العساكر التي رافقت الحملة فقد اختيرت من (الممالك الشامية، والصفدية، والحلبية، والطرابلسية، والحموية). إضافة إلى عساكر مصر[4].

وقد اجتمعت القوات المشار إليها في ميناء رشيد في شهر رجب سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م[5].

ويبدو أن حركتها كانت موضع رصد من قبل حاكم قبرص وأجهزته[6]، حيث وصل مع مستهل شعبان من السنة المشار إليها: (غراب وقرقوران مملوءة من المقاتلة جهزهم صاحب قبرص ليأخذوا من يجدونه بساحل الاسكندرية[7]). بيد أن القوات المملوكية تصدت لهم وهزمتهم، ثم واصلت إبحارها نحو جزيرة قبرص لتنفيذ الأهداف المرسومة لها.

وصلت القوات المملوكية إلى قبرص في الرابع والعشرين من شعبان سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م. واتجهت في اليوم الرابع من وصولها إلى حصن اللمسون- وهو حصن سبق للمماليك أن أحرقوه في حملتهم السابقة على قبرص فوجدوه

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص:٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص: ٩٨؛ العيني، عقد الجمان، ص: ٢٧٣-٢٧٧. وفي ترجمة هؤلاء الأمراء انظر السخاوي، الضوء، ج٢، ص ٣٢٧ (اينال الجكمي) وج٢، ص ٣٢٨ (اينال الأجرود)، وج٣، ص ٢٩ (تغري بردي المحمودي)، وج٣، ص ٢٨٥، سودون اللكاشي، ، وج١٠، ص ٢٧٨، (يشبك الشاد)، وج٢، ص ٣٢٤ (إياس الجلالي)، أما مراد خجا فلم أجد له ترجمة في الضوء.

(٤) ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص: ٢٤٩-٢٥٠.

(٥) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:٩٩.

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص: ٩٩.

(٧) المصدر نفسه، ج٨، ص: ٩٩.

(قد عمر وشحن بالمقاتلة) فاندفعت أعداد كبيرة من الجند بالصعود إلى الحصن عبر سلالم من الخشب[1]. فهرب الفرنج وتمكن المماليك من الحصن[2].

في أعقاب سيطرة المماليك على اللمسون اتخذت الحملة المسارات التالية:

١- طلب سكان (الاسكتية) الأمان من المماليك، فأعطي لهم وأمنوا، فقاموا بحمل (الهدايا والضيافات) إليهم كما أنهم أعلموهم بما أفادهم في مواجهة جانوس حيث أخبروهم بأن معه (خمسة آلاف فارس و سبعة آلاف راجل[3]).

٢- أرسل قائد الحملة رسالة إلى حاكم قبرص جانوس يطلب فيها إليه الدخول في طاعة السلطان لكي يؤمن على نفسه وجنده وبلده، وأنهم بخلاف ذلك سيتوجهون إليه بعساكرهم[4] وقد جاء رد فعل جانوس خارجاً عن حدود الأعراف المعمول بها بين الدول بخصوص التعامل مع القصاد حيث قام بقتل الرسول[5].

٣- كان لهذا التصرف من جانوس أثره السيء عليه، حيث بدأ المماليك بمهاجمة قواته، إذ أخذت القوات البحرية المملوكية أماكنها في البحر لحماية القوات البرية التي تحركت نحو داخل الجزيرة.

واجه جانوس هذا التحرك بإرسال قطع بحرية عديدة (قراقر[6]) لتطويق القوات البحرية المملوكية في البحر، ولكي ينفرد هو بمهاجمة القوات البرية التي هاجمها فعلاً، فالتحمت القوتان في معركة ضارية. وقد كان لأحد فرسان المماليك وهو مقدم العشير (وهم العرب القادمون من الشام) دور بارز في إذكاء معنويات المقاتلين عندما خاطبهم قائلاً: ((يا وجوه العرب، ويال جركس إن أبواب الجنان فتحت، إن متم كنتم شهداء، وأن عشتم عشتم سعداء بيضوا وجوهكم

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص: ٩٩-١٠٠؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٧٢٠-٧٢٣.

(٣) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:١٠٠و (الاسكتية)، قرية خارجة عن حكم جانوس وهي على علاقة قوية بالبنادقة.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص: ١٠٠؛ ابن شاهين، زبدة، ص:١٤١-١٤٢.

(٥) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:١٠٠.

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص:١٠٠.

واخلصوا لله العمل[1])، مما شجعهم على التفاني في القتال والتمكن من أن يهزموا الفرنج القبارصة ويأسروا الملك جانوس وغيره[2].

ولقد شجعهم هذا النصر على التوجه نحو عاصمة آل لوزنيان، الأفقسية للسيطرة عليها وذلك في الخامس من رمضان سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦، إلا أن قوات الفرنج القبارصة واجهتهم وهم في طريقهم إليها، فاصطدموا معها، وقد كان لالتحاق القوات المملوكية البحرية بهم أثره في تقرير مصير المعركة، حيث (اشتد القتال إلى أن دخل الليل فحجز بينهم[3])، أما قوات الفرنج البحرية فقد (هربت في البحر حتى غابوا عن الأعين[4]).

وبذلك تلاشت مقاومة الفرنج في الجزيرة، وتمت السيطرة على معظم أرجائها، وأخذ كثير من فرسانها أسرى، بلغ عددهم ثلاثة آلاف وسبعمائة نفس[5].

عقد أميرا القوات المملوكية البحرية والبرية والأمراء الآخرون اجتماعاً ناقشوا فيه مقترحين:

١- الاستمرار في الإقامة في قبرص وإرسال مطالعة إلى السلطان الأشرف برسباي (بما وقع من الفتح) وانتظار (وصول الرسول بالجواب).

٢- (التوجه بالأسرى والغنائم والعدد إذا اراد السلطان الأشرف برسباي- مرة أخرى لاستئصال بقية الفرنج).

وقد خلص الاجتماع إلى تأييد الرأي الثاني لذا فقد توجهت العساكر إلى

---

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:١٠١.

(٢) ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص:٢٥١-٢٥٢؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص:٧٢٤-٧٢٦؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ١٠٠-١٠٤؛ ابن شاهين، زبدة، ص:١٤١-١٤٢؛ ابن تغري بردي؛ مورد اللطافة، ابن شاهين، نزهة الأساطين، ص: ١٣٢؛ الصيرفي، نزهة، ج٣، ص:٨٤-٩٥؛ السخاوي، الضوء، ج٣، ص: ٨-٩؛ طرخان، مصر، ص١٠١-١٠٢؛ Holt.The Age. P.185-186

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ص:٧٢١؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ١٠٢. ونقوسيا (الأفقسية) هي عاصمة جزيرة قبرص ولفظ الأفقسية هو تعريب لاسمها اليوناني Lefkosia أو التركي Lefkosa. انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ١٢٥ (هامش).

(٤) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:١٠٢.

(٥) المصدر نفسه، ج٨، ص:١٠٣.

مصر مصطحبين معهم الأسرى وعلى رأسهم الملك جانوس، وولده وابن أخي صاحب الكتلان فوصلوا القاهرة يوم ٨/شوال/٨٢٩هـ[1].

وقد أحضر الملك جانوس مقيداً (أمام الأشرف برسباي بحضور أمير مكة، ورسل ابن عثمان، ورسل ملك تونس، ورسل أمير التركمان ورسل ابن نعير، وكثير من قصاد أمراء الشام[2]، حيث أمر الأشرف بسجنه، غير أنه أصدر بعد ذلك عفواً عنه شريطة أن يتعهد بدفع مبلغ مائتي الف دينار، ويدفع نصفه مقدماً والنصف الآخر بعد رجوعه إلى بلاده[3].

وقد أعقب ذلك في شهر ربيع الأول سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٧م قيام السلطان بالعفو عنه وتقريره نائباً عنه في قبرص وما معها وخلع عليه فمنحه فرساً بسرج ذهب[4].

توجه جانوس بعد ذلك في جمادى الآخره سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٧م نحو الاسكندرية، وإرسل معه السلطان (مسفراً) يرافقه في رحلته هذه حيث اقترض من التجار الفرنج فيها، المبلغ الذي التزم به للسلطان، ثم اتجه نحو قبرص[5].

ويبدو أن جانوس قد التزم بعد عودته إلى قبرص بما تعهد به للسلطان مما أشير إليه آنفاً، إذ لم ترد أية معلومات تناقض ذلك في السنوات التالية، باستثناء أن الأشرف برسباي تشكك في مدى وفائه بالتزاماته، حيث (أرسل ثلثمائة مملوك إلى جزيرة قبرص بمطالبة صاحبها بما استقر عليه من المال في كل سنة، وأوصاهم أن يرسوا ببعض الجزائر ويراسلوه فإن أجاب بالامتثال يرجعوا وصحبتهم ما يوصله إليهم، وإن امتنع راسلوا السلطان) إلاّ إن المماليك المرسلين عادوا بعد أن تسلموا ما على الملك جانوس من التزامات مالية[6].

---

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:١٠٣.

(٢) المقريزي،السلوك، ج٤، ص: ٧٢٤-٧٢٥؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ١٠٤.

(٣) ابن يحيى، تاريخ بيروت، ص: ٢٥٠-٢٥٢؛ ابن شاهين، زبدة، ص:١٤٢.

(٤) المقريزي،السلوك، ج٤، ص:٧٣٨.

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص:٧٤١، ٧٤٣؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص: ١٠٥.

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص: ٢٣٥.

لقد كان لإخضاع جزيرة قبرص أهمية كبيرة، فقد كان ذلك يعني تجميداً لأكبر قوة بحرية معادية للمماليك في البحر المتوسط، وإضعافاً لقوى الفرنج الأخرى فيه.

إن هذا ما جعل مؤرخاً معاصراً -وهو ابن حجر العسقلاني- يعقب على ما حققه السلطان الأشرف برسباي من نجاح في حملاته على قبرص، (أن ذلك لو لم يحصل لطمع الفرنج في بلاد المسلمين خصوصاً السواحل[1]).

فهل كان ذلك فعلاً نهاية لتطلعات الفرنج في البحر المتوسط؟

بدراسة المستجدات بين المماليك والفرنج في أعقاب إخضاع جزيرة قبرص، أي ابتداءً من سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م وحتى نهاية عصر برسباي ٨٤١هـ/١٤٣٨م، يتضح:

١- أن أعمال القراصنة في البحر المتوسط في الحقبة المشار إليها، قد تناقصت عما كانت عليه قبلها، فهي لم تتجاوز القيام بالاستيلاء على مراكب للتجار[2]، سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٧م، ومهاجمة ساحل الاسكندرية سنة ٨٣١هـ/١٤٢٨م[3]، و٨٣٢هـ/١٤٢٩م[4]، ثم قيام الفرنج الكتلان والجنوية بالهجوم على ميناء طرابلس الشام سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٣م[5]، وساحل بيروت سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٤م[6]، ثم مهاجمة ساحل الاسكندرية مرة أخرى من قبل الفرنج الكتلان سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م[7].

٢- مما أشار إليه ابن حجر في يومياته عن أحداث سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٥م، أن

---

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:١٠٥-١٠٦.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٧٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٧٨٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص: ٨٠٢؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:١٧١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص: ١٦٣.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٨٨٢، الصيرفي، نزهة، ج٣، ص:٢٤٩.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٩١٤؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:٣٠٥-٣٠٦.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٤، ص: ٩٩٤؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:٤١١، وعن فتح قبرص وتكرار غارات الجنوية والكتلان، انظر : = =

تجار الفرنج البنادقة، تأخروا في تلك السنة عن المواعيد التي اعتادوا أن يصلوا فيها إلى الاسكندرية لشراء ما يحتاجون، وغادروا قبل ما هو معتاد عليه من مغادرتهم دون أن يشتروا من التجار المصريين شيئاً، مما أدى إلى كساد بضائع التجار[1].

ويبدو أن السبب وراء الأحداث المشار إليها يعود إلى مواصلة الأشرف برسباي تنفيذ سياسته الاحتكارية للتجارة المملوكية وتشدده في ذلك في هذه الحقبة، حيث قام بفرض أسعار البضائع على التجار الفرنج فقد الزمهم سنة ٨٣٣هـ/١٤٣٠م (بشراء الفلفل بزيادة خمسين ديناراً عن السعر الواقع، فاشترى التجار شيئاً ورجعوا بأكثر بضائعهم وما معهم من النقد إلى بلادهم، فلم يحصل للسلطان مقصوده، وحصل على التجار من البلاء ما لا يوصف[2]...)، وهذا ما دعا ابن حجر العسقلاني إلى أنه يعقب قائلاً: (وتمادى الأمر على ذلك ولا يزداد الأمر في كل سنة إلا شدة[3]).

ويلاحظ أن هجمات الفرنج الكتلان على الموانئ المصرية سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٤م والذي أشير إليه أنفاً، أعقبه إرسال رسالة إلى السلطان (ينكر صاحب الكتلان عليه إلزامه للفرنج بشراء بضائعه من الفلفل وغيره[4]).

كما أن ما ورد أنفاً من عزوف التجار البنادقة عن الاتجار مع المماليك سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م، ومغادرتهم لمصر دون شراء شيء من بضائع التجار إلاّ في حدود ضيقة مما هو عائد إلى السلطان نفسه يرجع إلى أنه -أي السلطان- (ألزم التجار بعدم البيع، إلى أن يباع ما يتعلق به) وأنه (طلب من الفرنج أن يشتروا

Taha Thalji Tarawneh, The Province of Damascus During the Second Mamluk Period (784/1382-922/1516), First Edition, 1994, p. 62. Subsequently cited as: Tarawneh, The Province.

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص:٣٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٨، ص١٧٤-١٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٨، ص:١٧٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٠٥-٣٠٦.

من الفلفل بمائة وعشرين كل جمل فامتنعوا[1]).

لقد اتسمت سياسة الأشرف برسباي تجاه الفرنج بنجاحها في تأمين مصالح المماليك التجارية، وتقليل أكبر قدر ممكن من أعمال القرصنة في البحر المتوسط، سواء عن طريق حملاته العسكرية، ورسائله الدبلوماسية تجاه الملك جانوس الذي عفا عنه وأطلق سراحه، وعينه نائباً عنه في قبرص، بيد أن هذه السياسة تأثرت بموقفه من التجارة المملوكية؛ حيث كان لاحتكاره لتجارة البهار بشكل خاص أثره السلبي على التجار الفرنج، مما أدى لاستمرار محدود لأعمال القرصنة ضد المماليك أو عزوف عن الاتجار مع المماليك وهو ما ظهرت آثاره الخطيرة بعد عهد برسباي[2].

---

(١) ابن حجر، إنباء، ج٨، ص٣٤٨.

(٢) Daraj, L'Egypte, pp.222-230.

المبحث الثاني

سياسة الأشرف برسباي تجاه الحبشة

على الرغم من أن الحبشة لا ترتبط مع مصر بحدود مشتركة، إلا أن ثمة مصالح تربط بين الطرفين، وفي أولها تبعية الكنيسة الحبشية للكنيسة المرقسية بالإسكندرية، فهي التي تزودها بالمطارنة، إضافة إلى أن موقع الحبشة المطل على البحر الأحمر في أجزائه الجنوبية، جعلها ذات أهمية كبيرة تجاه تجارة المماليك العالمية عبر هذا البحر من جهة وعبر إفريقيا من جهة أخرى[1].

إن هذه العوامل التي كان من المفترض أن تشجع كلاً من المماليك والأحباش على إقامة علاقات جيدة تخدمهما، تأثرت بروح ذلك العصر؛ فقد ورثت دولة المماليك الجراكسة من العهود التي سبقتها، صراعاً مريراً مع الفرنج الصليبيين، ودخلت معهم في صراعات وحروب عبر مراكزهم في البحر المتوسط[2]، وقد حاول الفرنج أن يستفيدوا من الحبشة في صراعهم مع المماليك، فشجعوها على أن تمارس ضغطاً على مصر من جنوب البلاد، مما مهّد إلى تأزم العلاقات الحبشية المملوكية[3].

وقد ساعد على إثارة ذلك أن في الحبشة أقلية حبشية مسلمة تتركز في الأجزاء المطلة على البحر الأحمر منها، وأن هؤلاء كانوا -حسب الروايات المملوكية- يتعرضون إلى ما يتناقض مع حريتهم الدينية، وممارستهم لطقوس العبادة[4].

تلك هي طبيعة العلاقات بين دولة المماليك الجراكسة وبين الأحباش حتى وصول الأشرف برسباي إلى السلطنة (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م).

(١) عاشور، العصر المماليكي، ص ٢٥٧.

(٢) انظر ص٢٣-٢٥ أعلاه.

(٣) عاشور، الحركة الصليبية، ط٤، القاهرة، ١٩٨٦، ج٢، ص ٩٥٩.

(٤) الصيرفي، نزهة، ج٢، ص ٤٥٤.

بدراسة ما اكتنف هذه العلاقات خلال هذا العهد، يتضح أن الأشرف برسباي تحرى تجاه الحبشة تحقيق هدفين:

١- تحييدالحبشة في ما يخص الصراع القائم بين المماليك وبينهم.

٢- سلامة المسلمين الأحباش.

ويبدو أن المماليك اعتادوا أن يربطوا بين وضع مسلمي الحبشة، ووضع الأقباط في مصر، لذا فقد تعرض كل من المسلمين والنصارى الأقباط في كلا البلدين إلى ضغوط من هذا الطرف أو ذاك[1]، لذا فإن الأشرف برسباي عندما علم بأن الحطي ملك الحبشة إسحاق بن داود (٨١٤-٨٣٣هـ/١٣٣٤-١٣٨٨م) شن حرباً على مسلمي بلاده بين سنتي ٨٢٧-٨٢٨هـ/١٤٢٣-١٤٢٤م، قام باتخاذ إجراءات ضد الأقباط في مصر[2].

وقد دخلت العلاقات مع الحبشة في هذه الحقبة أخطر مراحل تازمها بعد قيام المماليك بغزو قبرص وأسر ملكها سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م، إذ كشف المماليك عن اتصالات بين الأحباش وبين الفرنج في السنوات التالية تهدف إلى القيام بحملة صليبية مشتركة ضدهم، وقد كان الوسيط في ذلك تاجر فارسي هو نور الدين التبريزي العجمي، حيث أورد ابن تغري بردي أن المبادرة جاءت من ملك الأحباش وأنه (عندما بلغه أخذ ملك قبرس) أرسل كتاباً سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٩م يحث فيه الفرنج على مواجهة المماليك. وقد تضمنت رواية ابن تغري بردي، أن التبريزي المشار إليه خلال وجوده في الحبشة كان يشجع ملكها على غزو مصر، كما أنه كان يبتاع الأسلحة ويبيعها إلى الأحباش[3].

ويبدو أن الحبشة في هذه الحقبة أصبحت مقراً لعدد من الأقباط، بل والمماليك الذين لم يكونوا على وفاق مع الدولة المملوكية؛ وأن بعض هؤلاء كان

---

(١) العيني، عقد الجمان، ج٢، ص ٦٦٠-٦٦١؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٨٣٩-٨٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ق٢، ص ٨٣٩-٨٤٠؛ العيني، عقد الجمان، ج٢، ص ٢٦٠-٢٦١؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص ٦٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١٤، ص ١٨٢-١٨٣.

قد هرب إلى الحبشة وساهم في تدريب جيشها، وجلب السلاح إليها[1].

لم تعط المصادر أية معلومات عن الإجراءات التي اتخذها الأشرف برسباي تجاه هذا المتغير الخطير من سياسة الحبشة تجاه مصر، باستثناء ما ذكر من أن السلطان أمر سنة ٨٣٢هـ بضرب عنق الخواجا نور الدين التبريزي المشار إليه[2]. ويبدو أن انتشار مرض الطاعون في بلاد الحبشة في سنة ٨٣٣هـ/١٤٣٠م وما بعدها؛ أشغل الأحباش عن الاستمرار في مشروعهم هذا[3]. كما يلاحظ أن مسلمي الحبشة شنوا هجمات واسعة على الحطي وقواته استمرت حتى سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م وحققوا فيها انتصارات عديدة. وعلى الرغم من عدم توفر دليل على وجود تنسيق بين المماليك ومسلمي الحبشة، فإن طبيعة العلاقة التاريخية بينهما تعطي انطباعاً أن المماليك ربما شجعوا مسلمي الحبشة على تحركهم المشار إليه بهدف اتخاذ ذلك وسيلة لمنعهم من الاستمرار في مشروعهم العدواني ضد المماليك.

ولعل ما يقوي هذا الاحتمال أن العلاقات بين الطرفين اتجهت نحو تخفيف التوتر، بل والعودة إلى الوضع الطبيعي سنة ٨٤١هـ/١٤٣٥م، مع نهاية عهد الأشرف برسباي حيث ورد كتاب الحطي يعقوب بن داود بن سيف أرعد يتضمن التودد والتوصية بالأقباط وكنائسهم[4].

تلك هي أبعاد العلاقة بين الحبشة وبين المماليك في عصر الأشرف برسباي.

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٨٣٨؛ ابن حجر، إنباء، ج٨، ص١٩٦-١٩٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ١٨٢-١٨٣؛ الصيرفي، نزهة، ج٣، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ١٦٠؛ الصيرفي، نزهة، ج٣، ص ١٥٠؛ ابن إياس، بدائع، ج٢، ص ١٢٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٨٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص ١٨٢-١٨٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ١٢٤؛ ابن حجر، إنباء، ج٩، ص ٣-٤؛ الصيرفي، نزهة، ج٣، ص ٣٩٨.

الخاتمــــة

اقتضت دراسة «السياسة الخارجية للسلطنة المملوكية في عصر الأشرف برسباي»، تسليط الضوء أولاً على هذه السياسة قبل وصول الأشرف برسباي إلى السلطنة سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، ابتداءً بقيام دولة المماليك الجراكسة سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، لمعرفة أبعاد السياسة الخارجية المملوكية في إطارها العام، ومن ثم معالجة هذه السياسة في عهد الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م).

وقد أظهرت الدراسة أن السياسة المملوكية الخارجية في عصر الأشرف برسباي، كانت منسجمة مع سياسة الدولة المملوكية الخارجية قبل عهده، من حيث وضوح رؤيتها، وتشخيصها الدقيق للتحديات التي واجهتها الدولة، ولما يجب أن تقوم به في مواجهة تلك التحديات، فقد أدركت مدى خطورة تحركات الفرنج في البحر المتوسط، وبخاصة جزيرة قبرص في تهديد سواحلها في مصر والشام، ومن ثم تجارتها مع العالم عبر ذلك البحر، كما أدركت المخاطر التي كانت تكمن وراء الضغوط السياسية التي مارسها التيموريون في عصر شاه رخ (٨٠٧-٨٥٧هـ/١٤٠٤-١٤٥٣م) تجاههم في هذه الحقبة، ومدى خطورة محاولات شاه رخ لمد نفوذه في آسيا الصغرى والذي كان يعني -في حالة نجاحه- إزاحة النفوذ المملوكي فيها.

وعلى الرغم من أن الإمارات التركمانية في آسيا الصغرى كانت ترتبط بدولة المماليك، في عصر الأشرف برسباي وقبله بنوع من التبعية، فقد أظهرت الدراسة أن المماليك في هذه الحقبة كانوا مدركين مدى الخطورة التي قد تشكلها هذه الإمارات إذا هي توحدت مع بعضها وشكلت قوة كبيرة، أو انحازت إلى التيموريين الذين كانوا يحاولون كسب هذه الإمارات لتطويق الدولة المملوكية ثم الانقضاض عليها، لذا فقد اتسمت سياسة الأشرف برسباي تجاههم بالحرص على استمرار تبعيتهم له، ورفض أية محاولة من الإمارات التركمانية للتوسع

على حساب بعضها، كما ركزت سياسته على الوقوف بحزم تجاه محاولات البعض منها للتنسيق مع التيموريين أو الارتباط معهم بتحالفات معادية.

وإذا كانت سياسة دولة المماليك في عصر الأشرف برسباي تجاه التحديات الخارجية تتصف بهذا الوضوح، فقد أظهرت الدراسة أن خطواتها للتعامل معها، لم تظهر ردود فعل مرتجلة، فقد آثرت هذه السياسة اعتماد الدبلوماسية والحذر وعدم التسرع قبل أي إجراء من نوع آخر.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١. ابن أجا، محمد بن محمود الحلبي، (ت ٨٨١هـ/١٤٧٦). العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك بن مهدي الدوادار، صنعه محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.

٢. ابن إياس، محمد الحنفي، (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م). بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٥ج، تحقيق محمد مصطفى زيادة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م.

٣. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٧١م). مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة. مخطوطة مصورة موجودة في مكتبة جامعة مؤتة.

٤. المؤلف نفسه، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ١٦ج، علق على حواشية محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٩٩٢.

٥. المؤلف نفسه، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ٦ج، (الأول والثاني) حققهما محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، (الثالث) حققه نبيل محمد عبدالعزيز الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥، (الرابع) حققه محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، (الخامس) حققه نبيل محمد عبدالعزيز، ١٩٨٥، (السادس) حققه محمد محمد أمين، ١٩٩٠.

٦. ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، إنباء الغُمر بأبناء العُمر في التاريخ، ٩ج، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٦م.

٧. الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان ٥ج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

٨. ابن سباط، حمزه بن أحمد بن عمر (ت ٩٢٦هـ/١٥١٩م). صدق الأخبار في تاريخ ابن سباط، ٢ج، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، جروس برس، طرابلس، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

٩. السخاوي شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ج، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

١٠. المؤلف نفسه، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ٢ج، الطبعة الكاملة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

١١. ابن شاهين، غرس الدين خليل الظاهري، (ت ٨٧٣هـ/١٤٧٠م). زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه بولس راويس، طبع بباريس، بالمطبعة الجمهورية، ١٨٩١م.

١٢. المؤلف نفسه، مخطوطة بعنوان برسباي، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، شريط رقم (٣٠٥).

١٣. ابن شاهين الملطي عبدالباسط بن خليل، (ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م). نزهة الاساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين، وعزالدين علي، مكتبة الثقافة العربية القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

١٤. الصيرفي، علي بن داود. (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م). نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ٣ج١، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب ١٩٧١م.

١٥. ابن الطولوني، حسان، (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م). النزهة السنية في ذكر الخلفاء والملوك المصرية، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، شريط رقم (٣٤١).

١٦. العيني، بدر الدين محمود، (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق عبدالرزاق الطنطاوي القرموط، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٩٨٩.

١٧. الفاسي المكي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي، (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٢ج، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨٥.

١٨. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م). تقويم البلدان، طبع في باريس، ١٨٩٠م.

١٩. ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر أحمد، (ت ٨٥١هـ/١٤٤٨م). تاريخ ابن قاضي شهبة، ٣ج، تحقيق عدنان درويش، دمشق، ١٩٧٠م .

٢٠. القرماني، أحمد بن يوسف، (ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م). أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ٣ج، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب، ١٩٩٢م.

٢١. القلقشندي، أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م). صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٥ج، شرحه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

٢٢. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م). السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤ج١ (١.٢) حققهما محمد مصطفى زيادة، مصر الجديدة، ١٩٥٦، (٣.٤) حققهما سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب ١٩٧٢.

٢٣. ابن يحيى، صالح، (ت ٨٤٠هـ/١٤٣٦م). تاريخ بيروت، تحقيق فرنسيس هورس وكمال سليمان الصليبي، دار المشرق، بيروت.

ثانياً: المراجع

١. أبو عليان، عزمي. مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك. ٦٤٨-٩٢٣هـ دار النفائس الاردن، ط١، ١٩٩٥.

٢. بوزورث، كليفورد. الأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة حسين علي اللبودي مراجعة سليمان العسكري، مؤسسة الشراع العربي، ط٢، ١٩٩٥م.

٣. تدمري، عمر عبدالسلام. تاريخ طرابلس السياسي والحضاري، عصر المماليك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨١م.

٤. الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م.

٥. رافق، عبدالكريم. العرب والعثمانيون (١٥١٦-١٩١٦م). دمشق، ط١، ١٩٧٤.

٦. زامباور. معجم الإنسان والاسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، اخرجه الدكتور زكي محمد حسن، وحسن أحمد محمود. دار الرائد العربي بيروت،لبنان، ١٩٨٠.

٧. السيد عبدالعزيز سالم. تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ١٩٨٦م.

٨. السيد، عبدالعزيز سالم. طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، ١٩٦٦م.

٩. شبولر، بارتلد. المغول في التاريخ، ترجمة يوسف قلب الشام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٩م.

١٠. شتا إبراهيم الدسوقي. المعجم الفارسي الكبير، ٣م، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت).

١١. الشهابي، حيدر، (ت ١٢٥١هـ/١٨٣٥م). تاريخ الأمير حيدر، ٤ج، علق على حواشيه مارون رعد، إشراف نظير عبود.

١٢. ضومط، أنطوان خليل. الدولة المملوكية، التاريخ السياسي والاقتصادي العسكري. دار الحداثة بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

١٣. طرخان، إبراهيم علي. مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ١٣٨٢-١٥١٧م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٤. عاشور، سعيد عبدالفتاح. العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م.

١٥. المؤلف نفسه، الحركة الصليبية، ٢ج، ط٤، القاهرة، ١٩٨٦.

١٦. عبدالسيد حكيم أمين. قيام دولة المماليك الثانية، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٧٦م.

١٧. لين بول، ستانيلي، الدول الاسلامية، ٢ج، إضافات وتصحيحات بارتولد وخليل أدهم، نقلة من التركية إلى العربية، محمد صبحي فرزات، واشرف على ترجمته محمد أحمد دهمان، طبع في مطبعة الملاح بدمشق، ١٩٧٤م.

١٨. المدني، زياد عبد العزيز، مدينة حلب في العصر المملوكي الثاني من خلال كتاب الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لعلاء الدين أبو الحسن بن خطيب الناصرية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٨٢م.

أبحاث

١. الحسو، أحمد عبدالله " الواقع الحضاري في الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض (٨١٤-٩١٤هـ/١٤١١-١٥٠٨م. موسوعة الموصل الحضارية، ٥م، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل.

٢. الحسو، أحمد عبدالله؛ الزهيري حنان جاسم، العلاقات السياسية بين المماليك الجراكسة وإمارة بني قرمان (٧٤٨هـ-٨٨٨) بحث مقبول للنشر، مجلة الدراسات التركية، جامعة الموصل.

٣. علي شاكر علي، الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض، -٩١٤هـ/١٤١١-١٥٨م) موسوعة الموصل الحضارية، ٥م، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل.

مقالات مترجمة في دائرة المعارف الإسلامية

١. مادة (أماسيا)، دائرة المعارف الإسلامية، دار الفكر، م٢.

٢. بابنكر، "رمضان اوغللري"، دائرة المعارف الإسلامية، دار الفكر، م١٠.

٣. بوفا، "تيمورلنك"، دائرة المعارف الإسلامية، دار الفكر، م٦.

٤. روسي، "رودس"، دائرة المعارف الإسلامية، دار الفكر، م١٠.

٥. هيوار، "آق قوينلو"، دائرة المعارف الإسلامية، دار الفكر، م٢.

٦. هيوار، «برهان الدين»، دائرة المعارف الإسلامية، دار الفكر، م٢.

المراجع الأجنبية

1. Daraj, 'Ahmad, L'Egypt Sous Le regne De Barasbay. (825-841/1422-1438), Institute Francais De Damas 1961.

2. P.M. Holt. The Age of the crusades: the Near East from the Eleventh century: New york longman. 1986.

3. Tarawneh, Taha Thalji. The Province of Damascus During the Second Mamluk Period (784/ 1382 g 22/ 1516) first Edition, 1994.

مقالات أجنبية

1. Crawshaw, Nancy " Cyprus" Ency. Americana .

2. B. Sputer "Kirim" Ency of Islam, New Edition, Vol.V, PP. 136-140.

جدول رقم (١/١)

السنة	الحدث	المصدر
٧٨٤هـ/١٣٨٢م	تزايد سعر الغلال	السلوك ج٣ ص٤٦٦
٧٨٥هـ/١٣٨٣م	كثر الرخاء بالقاهرة، وبيع لحم الضأن كل عشرة أرطال بثمانية دراهم	السلوك ج٣ ص ٥٠٩
٧٨٧هـ/١٣٨٥م	تزايد سعر الغلال بتوقف النيل	السلوك ج٣ ص ٥٣٨
٧٨٨هـ/١٣٨٦م	وقع الوباء بالإسكندرية	السلوك ج٣ ص ٥٤٤
٧٨٩هـ/١٣٨٧م	ارتفعت الأسعار بالشام	السلوك ج٣ ص ٥٦٢
٧٩٠هـ/١٣٨٨م	وقع بالقاهرة ومصر وضواحيها طاعون وحميات حادة	السلوك ج٣ ص ٥٧٥
٧٩١هـ/١٣٨٩م	كان في مصر وظواهرها وباء	السلوك ج٣ ص ٦٠٠
٧٩٧هـ/١٣٩٠م	تزايدت الأسعار	السلوك ج٣ ص ٨٤٢
٧٩٨هـ/١٣٩١م	تزايدت الأسعار لقلة وجود الغلال	السلوك ج٣ ص ٨٤٩
٧٩٩هـ/١٣٩٢م	اشتد الغلاء بدمشق	السلوك ج٣ ص ٨٧٧
٨٠٢هـ/١٣٩٩م	تحركت الأسعار بالقاهرة فارتفع سعر القمح	السلوك ج٣ ص ٩٨٢
٨٠٢هـ/١٣٩٩م	ارتفعت أسعار المأكولات والمشروبات	السلوك ج٣ ص ٩٩٣
٨٠٢هـ/١٣٩٩م	كان بالقاهرة أمراض فاشية من الحمى والبرد	السلوك ج٣ ص ١٠٠٣
٨٠٣هـ/١٤٠٠م	غلت الأسعار وعز وجود الأقوات	السلوك ج٣ ص ١٠٤٨
٨٠٥هـ/١٤٠٢م	ارتفعت الأسعار وبلغ الدينار الهرجة خمسة وستين درهماً	السلوك ج٣ ص ١٠٩٨
٨٠٥هـ/١٤٠٢م	ارتفعت الأسعار ارتفاعاً لم يُعهد مثله بمصر فبلغ القمح إلى سبعين درهماً	السلوك ج٣ ص ١١٠٧
٨٠٦هـ/١٤٠٣م	ارتفع سعر الغلال وبلغ القمح بمائة وعشرين درهماً الأردب	السلوك ج٣ ص ١١١٣
٨٠٦هـ/١٤٠٣م	ارتفع السعر ووصل القمح إلى مائة وثمانين درهماً الأردب	السلوك ج٣ ص ١١١٦
٨٠٦هـ/١٤٠٣م	وفيها حدث في الناس بالقاهرة ومصر وضواحيها سعال مميت لم ينجُ منه أحد	السلوك ج٣ ص ١١١٩
٨٠٦هـ/١٤٠٣م	وفيها ارتفعت أسعار عامة المبيعات	السلوك ج٣ ص ١١٢٤
٨٠٧هـ/١٤٠٤م	وفيها انحط سعر القمح بالقاهرة	السلوك ج٣ ص ١١٣٠
٨٠٧هـ/١٤٠٤م	وفيها اشتد الغلاء بالوجه البحري	السلوك ج٣ ص ١١٤٥
٨٠٧هـ/١٤٠٤م	وفيها غلت الأسعار بدمشق	السلوك ج٣ ص ١١٥٢
٨٠٧هـ/١٤٠٤م	وفيها غلت الأسعار في غزة لقلة الأمطار	السلوك ج٣ ص ١١٦٠
٨٠٨هـ/١٤٠٥م	كانت الأسعار قد غلت بدمشق ففرق الأمير شيخ الفقراء على الأغنياء وجعل لنفسه منهم نصيباً وافراً	السلوك ج٤ ص ١٦
٨٠٨هـ/١٤٠٥م	فشى الطاعون بصعيد مصر وأحصي من مات فكانوا عشرة آلاف	السلوك ج٤ ص ١٩

جدول رقم (٢/١)

السنة	الحدث	المصدر
٨٠٩هـ/١٤٠٦م	غلت الأسعار وتعطلت الأسواق والناس في خوف ووجل من كثرة الظلم	السلوك ج٤ ص ٣١
٨٠٩هـ/١٤٠٦م	ابتدأ الطاعون بالقاهرة ومصر	السلوك ج٤ ص ٤٢
٨١٢هـ/١٤٠٩م	فشى الطاعون بحمص وحماة وطرابلس	السلوك ج٤ ص ٩٨
٨١٣هـ/١٤١٠م	هافت الزروع بسبب هبوب الرياح	السلوك ج٤ ص ١٣١
٨١٣هـ/١٤١٠م	طاعون ببلاد الشام وانتشار الجراد بالرملة والساحل	السلوك ج٤ ص ١٣٣
٨١٣هـ/١٤١٠م	أغلقت الأسواق، فقد الخبز لارتفاع الأسعار	السلوك ج٤ ص ١٣٣
٨١٣هـ/١٤١٠م	انخفضت الأسعار بعد ارتفاعها	السلوك ج٤ ص ١٣٨
٨١٣هـ/١٤١٠م	وقوع فتنة بجبل نابلس	السلوك ج٤ ص ١٤٠
٨١٣هـ/١٤١٠م	كثرت الفتن بين التركمان وخربّوا قرى كثيرة ببلاد حلب	السلوك ج٤ ص ١٦٢
٨١٤هـ/١٤١١م	انتهى الطاعون الذي ابتدأ في البلاد الشامية من شوال فأحصي من مات نحو خمسين ألفاً وبقيت الزروع قائمة	السلوك ج٤ ص ١٧٩
٨١٤هـ/١٤١١م	تاكد للسلطان خروج شيخ ونوروز عن طاعته فا.... على أخذ دمشق	السلوك ج٤ ص ١٩١
٨١٤هـ/١٤١١م	غلا الزيت الحار حتى بيع بتسعة دراهم بسعر زيت الزيتون ولم يعهد ذلك قط	السلوك ج٤ ص ١٩٣
٨١٤هـ/١٤١١م	ارتفاع الأسعار واستمرار الفتن بمصر والشام	السلوك ج٤ ص ٢٢٦
٨١٥هـ/١٤١٢م	ارتفاع الأسعار بمكة	السلوك ج٤ ص ٢٥٣
٨١٦هـ/١٤١٣م	تزايد الطاعون بمصر والقاهرة وكان يموت كل يوم ممن يرد إلى الديوان ما بين العشرين إلى الثلاثين فناف عدة من يرد إلى الديوان على المائة	السلوك ج٤ ص ٢٥٧
٨١٦هـ/١٤١٣م	استعد طوغان الدوادار ومعه جماعة من الأمراء للخروج عن الطاعة السلطانية فأغلقت الأسواق وتوقع الناس الحرب	السلوك ج٤ ص ٢٦٥
٨١٦هـ/١٤١٣م	انتشر الطاعون مرة أخرى بحلب ومصر وحماة ودمشق	السلوك ج٤ ص ٢٦٩
٨١٧هـ/١٤١٤م	انتشر الوباء بكورة البهنسي واستمر بقية السنة	السلوك ج٤ ص ٢٩٠
٨١٨هـ/١٤١٥م	ابتدأ الطاعون بالقاهرة ومات منه جماعة	السلوك ج٤ ص ٣٠١
٨١٨هـ/١٤١٥م	توقفت أحوال الناس وأغلقت الأسواق بسبب توقف النيل	= ج٤ ص ٣١٥، ص٣١٨
٨١٨هـ/١٤١٥م	وقع الغلاء بمصر والشام والحجاز	= ج٤ ص ٣٣٠-٣٣٧
٨١٩هـ/١٤١٦م	تزايدت أسعار الغلاء ولم يعهد فيما تقدم من الغلوات مثل ذلك	= ج٤ ص ٣٤٥-٣٤٦
٨١٩هـ/١٤١٦م	تزايد موت الناس بالطاعون	= ج٤ ص ٣٤٧-٣٤٩

جدول رقم (٣/١)

السنة	الحدث	المصدر
٨١٩هـ/١٤١٦م	اشتد الغلاء بنابلس	السلوك ج٤ ص ٣٥٠
٨١٩هـ/١٤١٦م	كثر الموتان بالقاهرة ومصر وتجاوز من ورد اسمه للديوان الثلاثمائة وانتشر الوباء بمصر والشام والمشرق	= ج٤ ص ٣٤٧-٣٤٩
٨١٩هـ/١٤١٦م	كثر الطاعون بدمشق حتى بلغ عدد من يموت نحو المائتين	= ج٤ ص ٣٥٨
٨٢١هـ/١٤١٩م	قل وجود الخبز بالأسواق وارتفعت الأسعار	= ج٤ ص٤٧٠
٨٨٢هـ/١٤٢٠م	انتشر وباء الطاعون وزاد عدد الموتى وخلت القرى من أهلها	= ج٤ ص ٤٨٦-٤٨٧
٨٨٢هـ/١٤٢٠م	ارتفعت الأسعار وقل وجود الخبز	= ج٤ ص ٤٩٨
٨٨٢هـ/١٤٢٠م	ارتفعت الأسعار لنقص النيل	= ج٤ص٥٠٥، ٥٠٩، ٥١٠
٨٢٣هـ/١٤٢١م	عز وجود القمح بالوجه القبلي	= ج٤ ص ٥٢١
٨٢٤هـ/١٤٢٢م	اشتد الغلاء في العلايا	= ج٤ ص ٥٩٤

جدول رقم (٢/١)

المصدر	الحدث	اسم الإمارة
السلوك، ج٣ ص٤٤٩-٤٥٠. إنباء، ج٢ ص ٥٦ بدائع، ج١ ق٢ ص ٣٤٨ السلوك، ج٣ ص ٥٣١. إنباء، ج٢ ص ١٨٩ القرماني، أخبار ج٢ص ١٠٠ إنباء، ج٢ ص ٢١٩-٢٢٠.	- في سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م عادت العساكر (المملوكية) من محاربة بن ذلغادر - في سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م خرج أميرها عن طاعة السلطان المملوكي، فتصدت لهم القوات المملوكية - في سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م خرج سولي بن ذلغادر عن الطاعة السلطانية،فبعث إليه السلطان من يقبض عليه - في سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م قتل خليل بن قراجا حيث فتك به بعض أمراء التركمان بمواطأة صاحب مصر. - في سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م توجه نواب الشام لقتال التركمان العصاة ومنهم سولي بن ذلغادر	إمارة ذلغادر في عهد خليل بن قراجا (٧٨٠-٧٨٨هـ)
إنباء، ج٣ ص ٣٩٤ إنباء، ج٦ ص ٥٢-٥٣ إنباء، ج٧ ص ٢١٩ عقد الجمان ص ٢٩٠.	- في سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م قتل سولي بن ذلغادر - في سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م نازل التركمان مدينة حلب فحصروها على علي بك بن خليل ومعه عدة من أمراء التركمان فقاتلهم العوام - في سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م قدمت خديجة خاتون زوجة ناصر الدين محمد بن ذلغادر لطلب ولدها - في سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م قدم كتاب ناصر الدين محمد بن ذلغادر يسأل السلطان العفو	إمارة ذلغادر في عهد ناصر الدين محمد بن خليل (٨٠٠-٨٤٦هـ)

جدول رقم (٢/٢)

اسم الإمارة	الحدث	المصدر
إمارة بني رمضان في عهد أحمد بن رمضان (٧٨٠-٨١٠هـ)	- في سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م أمر السلطان المملوكي الظاهر برقوق عسكر دمشق وحماه - في سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م سار يلبغا الناصري بالعساكر الحلبية والشامية لجهة التركمان فنازلوا أحمد بن رمضان التركماني.	السلوك ج٤ ص٥٠٤-٥٠٨ إنباء ج٢، ص:١٣٨-١٣٩
في عهدإبراهيم بن رمضان سنة ٨١٨ ثم ٨٢٠ ثم ٨٢١ (٨١٠-٨١٩هـ) ثم حمزة بن إبراهيم (٨١٩-٨٢٢هـ)	-في سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م أخذ أحمد بن رمضان طرسوس عنوة. في سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م أرسل إبراهيم بن رمضان يسأل السلطان المملوكي العفو الممكن لم يمنحهم إياه -في سنة ٨٢١هـ/ قدمت أم إبراهيم من رمضان من بلاد المشرق تتعطف السلطان على ولدها، فأمر السلطان باعتقالها، فاعتقلت في سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م حاصر إبراهيم بن رمضان طرسوس فأرسل نائبها شاهين اليد كاري يستنجد السلطان	السلوك ج٤ ص٣٠٩ الضوء ج١، ص ٣٠٢ انباء ج٧ ص السلوك، ج٤ ص١٤٠ إنباء ج٧ ص ٣٢٢ النجوم ج١٣ ص ٢٤٤ ٣٠٣-٣٠٤، نزهة، ج٢ ص ٤٢١-٤٢٢

جدول رقم (٣/٢)

اسم الإمارة	الحدث	المصدر
إمارة آق قوينلو	- في سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م تحالف عثمان قرايلك مع تمرلنك ضد الشاه السوداء الحليفة آنذاك للمماليك	السلوك ج٣ ص ٩٠٦
	-في سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م نزل قرايلك على البيرة ونهبها وسبى وأحرق	بدائع، ج١ق٢ ص٧١٢
	- وفي سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م نزل قرايلك قلعة الرها بعد حصار ومضى إلى ماردين	بدائع ج١ ق٢ ٧٢٤
	-في سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م ملك قرايلك ماردين.	بدائع ج١ ق٢ ص: ٧٩٣
	- في سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م توجه قرايلك إلى ارزنكان وملكها.	إنباء ج٦، ص ٢٣١
	-في سنة ٨١٣هـ/١٤١٠م توجهت العساكر لحماية حلب من قرا يوسف.	إنباء، جج٧ ص٣٨٦-٣٨٨
	-في سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م ورد الخبر بأن قرا يوسف قصد قرايلك فلجأ الأخير للسلطان المملوكي فاشتد الحصار على كركر. فتوجه السلطان إلى كركر.	نزهة ج٢ ص ٤٢٣-٤٢٤ نزهة ج٢ ص٣٩٢-٣٩٤
	- في سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م جاء الخبر بأن عثمان قرايلك كبس على بير عمر حاكم ارزنكان من قبل قرا يوسف وعندما علم السلطان بذلك كتب بكفر قرا يوسف.	السلوك، ج٤ ص ٥٣٥-٥٣٦

جدول رقم (٢/٤)

المصدر	الحدث	اسم الإمارة
السلوك، ج٣، ص: ٤٨٩	-في سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م خرج قرا محمد عن الطاعة السلطانية .	إمارة قرا قوينلو
السلوك، ج٣، ص: ١١٢٠	- في سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م قبض على قرا يوسف وأحمد بن أويس وسجنا بدمشق .	
تاريخ بيروت، ص: ٢٣٦، نزهة، ج٢، ص: ٢٠٢-٢٠٥	- في سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م اتفق قرا يوسف مع شيخ ونوروز في خروجهم على السلطان .	
أنباء، ج٧، ص: ٣٠٦، ٣١١	- خرج قرا يوسف عن الطاعة السلطانية	
بدائع، ج٢، ص: ٤٠	- في سنة ٨٢١هـ/١٤١٨ دخل قرا يوسف على عينتاب ونهبها .	

جدول رقم (٢/٥)

اسم الإمارة	الحدث	المصدر
إمارة بني قرمان في عهد محمد بن قرمان (٧٩٣-٨٢٧هـ)	- في سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م أرسل السلطان إلى محمد ابن قرمان يطلب منه تسليم طرسوس، وإن لم يسلمها فإن السلطان سيمشي عليه .	عقد الجمان، ص: ٢٨٧-٢٨٨ النجوم، ج١٣، ص: ١٩٩
	- في سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م نزل ابن قرمان على طرسوس، فأرسل نائبها شاهين اليد كاري يستنجد بالسلطان .	عقد الجمان، ص: ٣٣٠
	- في سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م قبض على محمد بن قرمان ثم أطلق سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م .	إنباء، ج٧، ص: ٤١٢
	- في سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م احضر محمد بن قرمان مقيداً ومعه داود بن ذلقادر.	عقد الجمان، ص:٣٧١-١٧٢

جدول رقم (٢/٦)

اسم الإمارة	الحدث	المصدر
إمارة بني عثمان	- في سنة ٧٩٣هـ/١٣٩٠م نازل بايزيد قيسارية وعزم على المسير إلى البلاد الشامية	أنباء، ج٢، ص: ٧٦
	- في سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م تحرك بايزيد بن عثمان على بلاد الشام .	السلوك، ج٣، ص: ٩٦٥
	- في سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م أخذ ابن عثمان ابلستين وعزم على أن يمشي للبلاد الشامية .	السلوك، ج٣، ص٩٧١؛ النجوم، ج١٤، ص: ١٣٨، ١٤١؛ بدائع، ج١، ق٢، ص: ٥٤٧-٥٤٩ .
	- في سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م نزل بايزيد على ملطية.	
	- في سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م، استولى ابن عثمان على قيسارية كرسي بلاد الروم .	عقد الجمان، ص: ٣٠٠-٣٠١

جدول رقم (٢)

الإمارة	الحدث	المصدر
٧٨٥هـ/١٣٨٣م	هاجم الفرنج ميناء الاسكندرية .	السلوك، ج٣، ص: ٤٨٧-٤٨٨
٧٨٦هـ/١٣٨٤	هاجم الفرنج ميناء رشيد	نفسه، ج٣ ص ٥١٥
٧٨٩هـ/١٣٨٧م	هاجم الفرنج طرابلس الشام	نفسه، ج٣ ص ٥٦٢
٧٩٠هـ/١٣٨٨م	هاجم القراصنة سفينة تجارية كانت تحمل أقارب السلطان برقوق وهي في طريقها من بلاد الجركس إلى مصر.	نفسه، ج٣ ص ٥٨١
٨٠١هـ/١٣٩٨	هاجم الفرنج ستة مراكب مملوكية محملة بالقمح متجهة من دمياط إلى سواحل بلاد الشام	نفسه، ج٣، ص: ١٠٥٩
٨٠٤هـ/١٤٠١م	هاجم الفرنج ميناء طرابلس ونهبوا بضائع كثيرة كما أخذوا مركبين تابعين لطرابلس، ويشار إلى هذا عادة بـ(كائنة طرابلس)	نفسه، ج٣، ص.١٠٧٠ إنباء، ج٧ ص:٢٤.
٨٠٦هـ/١٤٠٣م	هاجم الفرنج ميناء طرابلس ودخلوا في قتال مع القوات المملوكية وأحرقوا أماكن خلال مسيرهم بين موانيء بيروت وحتى صيدا وسيطروا على مركب مملوكي قادم من دمياط.	السلوك، ج٣ ص ١١١٤
٨١٣هـ/١٤١٠م	هاجم الفرنج ميناء يافا وأسروا جماعة من المسلمين واخذوا مركباً فيه خام للسلطان.	السلوك، ج٤ ص ١٤٣
	قام الفرنج بمهاجمة (الطينة) ونهبوا ما وجدوا فيها	إنباء، ج٧، ص ٢٥
٨١٩هـ/١٤١٦م	هاجم الفرنج جزيرة (نستروة) بين دمياط الإسكندرية وقاموا بأعمال نهب وحرق	إنباء، ج٧،ص ٢١٠
٨١٩هـ/١٤١٦م	هاجم الفرنج يافا وأسروا نساء وأطفالاً	إنباء، ج٧، ص ٢١٠
٨١٩هـ/١٤١٦م	هاجم الفرنج ميناء الإسكندرية واستولوا على مركب تابع للمغاربة	إنباء، ج٧ ص ٢١٤
٨١٩هـ/١٤١٦م	هاجم فرنج قدموا بثمانية مراكب ميناء اسكندرية وقاموا بأعمال نهب وأسر	إنباء، ج٧ ص ٢١٤
٨٢٠هـ/١٤١٧م	زاد الارجاف بحركة الفرنج على الإسكندرية	السلوك ج٤ ص ٣٨٦-٣٩٤

نص رسالة

السلطان الأشرف برسباي

التي أرسلت جواباً على رسالة شاه رخ إليه

ورد هذا النص ملحقاً بمخطوطة
محفوظة بمكتبة الجامعة الأردنية تحت
رقم ٣٠٥ ورقم متسلسل ١٧٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب السلطان الملك الأشرف
برسباي لميرزا شاه رخ بن تيمر
الله أعلم حيث يجعل رسالاته
سيصيب الذين أجرموا صغار
عند الله وعذاب شديد بما
كانوا يمكرون

أما بعد حمد الله والصلاة
والسلام على سيدنا محمد وأهل
بيته الطيبين الطاهرين والرضا
عن السادة الصحابة أجمعين
فقد وقفنا على ما أجمعتموه بنا
من ضمن كتابكم المفوّج كلامه
تفهمنا شرحه ونظامه فلم نجد
لما نظمتموه من الكلام زبده
غير أنكم أشحنتموه بألفاظ أعجمية
كألفاظ المرتدة لكونكم
تنكرون علينا في الأحكام ونحن
أعدل ملوك الإسلام نحن نأمر
بالمعروف ونفعله وننهى عن

ٱلْمُنْكَرِ وَنُبْطِلُهُ، لَا تَأْخُذُنَا فِي
ٱللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَمَنَارُ شِرْعَةِ
ٱلْحَقِّ لَدَيْنَا قَائِمٌ، نُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلْحَلَالِ
وَٱلْحَرَامِ، وَنَتَّبِعُ سُنَّةَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ
ٱلسَّلَامُ، نُوَفِّي ذَوِي ٱلْحُقُوقِ
حُقُوقَهُمْ مِنَ ٱلْأَحْكَامِ، وَنُسَوِّي
بَيْنَ ٱلشَّرِيفِ وَٱلْمَشْرُوفِ مِنَ
ٱلْأَخْصَامِ فِي ٱلْوُقُوفِ وَٱلنَّظَرِ
وَٱلْكَلَامِ، نَحْنُ ٱلَّذِي أَنْزَلَ
عَلَى نَبِيِّنَا ٱلْقُرْآنَ ٱلْمَجِيدَ، وَتَدَبَّرْنَا

مَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعْدِ وَٱلْوَعِيدِ،
وَنَحْنُ خَدَمُ ٱلْحَرَمَيْنِ مَكَّةَ وَٱلْمَدِينَةِ،
وَحَرَمِ سَيِّدِنَا ٱلْخَلِيلِ عَلَيْهِ
ٱلسَّلَامُ، وَبَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ ٱلشَّرِيفِ
ذِي ٱلسَّكِينَةِ، وَمِنْ شِيمَتِنَا
وَطَوِيَّتِنَا ٱلسَّعْيُ فِي عِمَارَةِ
ٱلْبُلْدَانِ، وَتَحْقِيقُ ٱلْوَطْأَةِ
عَنِ ٱلرَّعَايَا وَنُسْدِي إِلَيْهِمْ جَزِيلَ
ٱلْإِحْسَانِ، فِي تَأْمِيرِ ٱلسُّبُلِ ٱلْمَارَّةِ
جُهْدَنَا، وَحِفْظِ ٱلثُّغُورِ مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ

بعددنا وخيولنا وعددنا
مددا ومن علي الغزاة والرباط
بثغر سكندرية وترابلس ودمياط
أفمن هذا الحديث تعجبون
وتضحكون قد ملكنا الله تعالى
بنيتنا المباركة وقلوبنا القوية
وهمتنا العلية وتركنا النقشية
ورماحنا الخطية وسيوفنا
الهندية بلاد الأفقسية وأسرنا
الملك بها وسائر الرعية وأحضروا

إلينا بحالة ردية وبعناهم كبيع
العبيد في الأسواق بعد أن ضربنا
من كثير منهم الأعناق ولو ترون
ما حل بهم منا في البر والبحر
لأخذتم لأنفسكم العجب العجاب
في الدهر لا سيما وقد أتتنا
ملوك البلاد من سائر الأقطار
مثل ملك هرمز وسلطان الحصن
وابن قرمان ملوك الأقطار
وسلطان مكة المشرفة وسلطان

اليمن وسلطان المغرب والتكرور
وملك قبرس المعد وقد حضروا
بأجمعهم الينا ووجب اكرامهم
علينا فما منهم الا من اكرمناه
بعد الكرامة الى بلاده اعدناه
فهذه ان شاء الله سجيتنا وطويتنا
ايها المبطلون لمثل هذا فليعمل
العاملون وقد اخفتمونا برسل
اساؤا في البلاغ كثيرا كأن
في عقولهم خلل بل عقل الرسول

301

يدل على عقل مرسله كبيرا كان
او صغيرا انتم زعمتم في مراسلتكم
بانكم اهل الفضل والعدل
لذلكم ناهج وانتم المبتدعون
الخوارج ابناء الخوارج نحن نحكم
عن الله ورسوله وكل منكم
يحكم برأيه وسوله وقد اتى
ابوكم البلاد حين حكم وهتك
ما استتر من حريم العباد وظلمه
وكانكم قستمونا بمن تقدم من

الملوك الأطفال حيث قدم أبوكم
الشام فلم يجد والله لجزبكم
مجالا إنما ذلك والله لخائب
الأكابر ولسوء رأي الأصاغر
فوالله لو يلبثون ليلة فرارهم
لغزا أبوكم بعسكره ناكصا على
عقبيه لكن لم يسلموا من رأي
شرارهم ولسنا إن شاء الله تعالى
ممن يقدر علينا وقد وعدنا في
كتاب الله العزيز بالنصر لقوله

جل ذكره ثم جعلنا لكم الكرة
عليهم فلو منتظرون إلى الفرسان
من رجالنا حين يحملون بالرماح
لطارت عقولكم ولو جلت
قلوبكم ولذهبت منكم الألوان
ولزورت منكم الأحداق
ولدمعت منكم الآماق ولرجعتم
القهقرة والتفت الساق بالساق
ألا وقد أنكرتم علينا بما ليس
فينا ولا قيل عنا من القدم فنحن أحق

بالإنتشار عليكم منكر وعلى
أبيكم الأقدمين إذ تشبهتم به في
الأفعال والأحوال لكن من
تشبه بأبيه فما ظلم، فلا تظنوا
بكثرة سوادكم تهابون، أو
بركوب غالب جندكم بالسروج
على الحمير لا تعابون، فليس عساكركم
في الآفاق مسمية، وليس لها بمقاوم
الحروب معرفة ولا دراية، ولقد
أطلعنا على عددكم وإن كثرت

إن شاء الله تعالى بمددكم ولو
نشأتم مشاركاكم على قرابات ولو
سد عددكم الآفاق فإنا وعدنا
بالنصر عند الصبر لقوله جل
ذكره كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة بإذن الله والله مع
الصابرين، وسيعلم الجبان حاله
عند معترك القنا وإن يلق سمر
القنا فالقنا وقد التمستم منا
التمكين في كسوة البيت الحرام،

تزعمون أن ما بأيديكم من المتاع
حلال وهو في الحقيقة حرام
إنما ذلك والله كسوة البيت
الحرام من خالص مالنا الحلال
نكتسب به الحسنة في كل سنة
ومما لا يخفى عليكم ولا على سائر
الأنام لأن مملكتنا هي أشرف
ممالك الإسلام وقد اختصرنا في
كتابنا عن التطويل [illegible]
الكلام وحسبنا الله ونعم الوكيل

وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا

ملخص

لم تحظ السياسة الخارجية للسلطنة المملوكية في عهد السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) بالاهتمام من قبل الباحثين، حيث اقتصرت جهودهم على تناولها ضمن دراسات شاملة عن عصر المماليك الجراكسة، أو عن عصر الأشرف برسباي، لذا فقد عالجت هذه الدراسة هذا الموضوع استكمالاً لجهود سابقة، وتركيزاً على حقبة تستحق الاهتمام.

تحرت الدراسة الكشف عن العناصر الأساسية للسياسة الخارجية للسلطنة المملوكية في الحقبة المشار إليها.

قُسّمت الدراسة إلى أربعة فصول، خُصص الأول منها لدراسة حياة السلطان الأشرف برسباي والأوضاع التي عاصرها وتأثر بها، أما الفصل الثاني فقد تناول دراسة سياسة السلطان المشار إليه تجاه التيموريين، ثم تجاه إمارة آق قوينلو المحالفة لهم، في حين خُصص الفصل الثالث لدراسة سياسته تجاه الإمارات التركمانية في آسيا الصغرى، أما الفصل الرابع فقد خُصص لدراسة سياسته تجاه الفرنج والأحباش.

وقد أنهيت الدراسة بخاتمة تضمنت النتائج النهائية للبحث أرفق بها ملاحق تضمنت مجموعة من الجداول ذات العلاقة.

Abstract

The foriegn policy of the Mamluk Sultanate during the reign of Sultan Al-Ashraf Barasbay (825-841A.H/1422-1438A.D), has not been discussed yet in the depth that it deserves. It has been touched within previous studies either on the whole reign of Barasbay or on the whole foriegn relations of the Cireassian Mamluk Sultanate.

Therefore, this thesis aims at concentrating on the Mamlouk foriegn policy during a specific period in the first half of th 9th/15th Century, that is to say the reign of Sultan Barasbay , because his reign was relatively long, and somewhat quite regarding the interior affairs. However , this period wittnessed various threats menaced the Mamluk Sultanate that Barasbay had to deal with in different ways varied between the use of power and inclining to peace.

This study undertakes the task of investigating the main factors that moved the Mamluk Sultante foriegn policy, and highlighting the points of its strength as well as its weakness.

For achieving such an objective, this study has been divided into four chapters. The first chapter was designed to discuss Barasbay's life and different circumstances that he wittnessed and influnced his policy later on when he ascended the throne of the Sultanate.

The second chapter discusses Barasbay's policy towards the Timurids and their ally; the Turkoman Principality of Aq Quyunlu.

The third chapter points out Barasbay's policy vis-a`-vis the other Turkoman principalities in Asia Minor.

And the fourth chapter highlihgts the Mamluk foriegn policy towards the rest of the other powers that Barasbay had to deal with such as the Frank (the Europeans) and the Abyssinians.

The thesis has been provided with a conclusion and few appendices including some related charts.

Finally, I hope that this study might add something to the previous efforts in this line of Islamic history.